تصوف المتمردين في أدبِ جبران خليل جبران
(دراسة تحليلية)

(التمرد . التصوف . جبران)

أ .م . د لؤي شهاب محمود

جامعة بغداد / كلية الإعلام / قسم العلاقات العامة

Mysticism rebels in the literature of Kahlil Gibran
(An analytical study)

Dr.luay .sh. Mahmood
Assistant Professor
college of media /University of Baghdad

الملخص :

إن التجربة الصوفية تُعبر عن معاناة وجودية عميقة ومعقدة ، ترتبط بفضاءات روحية ونفسية لا محدودة تستعصي على الوصف والنعت ، وفي غمار الذوق الصوفي تخرس العبارات، فلا بيان ولا نطق، بل ذهب القوم إلى أنّ العجز عن التعبير علامة صدق وعمق التجربة ، فكلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة ، حيث كان – جبران خليل جبران – وجهاً لوجه مع عصرهِ . كان صراعاً سافر فيه إلى جميع حنايا وخفايا العصور ليبلور الحكمة التأملية علّه يعثر على ذات للإنسان الضائع وسط كومة التيه والتمرد . أنها نزعته الصوفية التي تتجسد باعتناقه المنهج العرفاني الذي يعتمد: (الحدس ، والرؤيا، والبصيرة) للوصول إلى المعرفة ، فإذا كان العقل يرى المظهر الخارجي للأشياء عبر البصر ؛ فإنّ القلب يرى بـ(البصيرة) جوهرها الأصل ، ويفهم أعمق أعماقها.

Abstract:

The mystical experience reflects the suffering and existential deep and complex, linked Pfdhaouat spiritual and psychological are not limited indescribable participle, and in the midst of a mystic taste shut words, there is no statement nor pronounce, but people went to the inability to express sincerity and depth of experience mark, the more vision widened narrowed gateway, where he was - Kahlil Gibran - face-to-face with his time. It was a struggle in which he traveled to all Hnaya and Khvaya Ages crystallizes contemplative wisdom is probably found with the human being lost amid a pile of wandering and rebellion. It mystical tendency embodied Batnagah Aervani approach which relies: (intuition, vision, insight) to gain access to the knowledge, if the mind sees Exterior things through sight; the heart sees b (insight) essence, origin, and understand the deeper depths.

المقدمة :

التصوف[1]:علم ينتظر من يُظهرهُ . ينتظر من يستطيع ان يفهم نصوصه ويترجمها من لغة الوجدان والتصوير إلى لغة التنظير والحروف، ولا يكتمل ذلك العلم إلاّ بتوضيح ميادينه، وتعريف أقسامه وفروعه ؛ لان الإجمال والشمول يُفقدانه مضمونه الذاتي ، ويجعلانه بالنسبة لنا غيباً ومجهولاً.

ان اجتياز الفاصل العظيم او الهوة السحيقة بين المحدود واللامحدود، بين الله والانسان أمر مستحيل على الصعيدين : المنطقي والفيزيائي ، غير انه قد يبدو ممكناً عن طريق الشعور ،أي بمعنى: انه إذا كان إدراك الذات عند المؤمن الرباني العارف بالله قد يؤدي إلى إدراك العالم الوجودي كله ؛ لذلك بات من البديهي ان يؤكد الكثير من رجالات التصوف قدرتهم على العبور مداً وجزراً بين شاطئ الانسانية وشاطئ التأله ، وإذا أمكن التسليم : بأنّ الحياة – من وجهة نظر معينة – غير يقينية ووهمية أو تكاد تكون حلماً يتراوح بين الفزع والنشوة الخاطفة ، وأن تلك التجربة لا تحقق شرطها الوجودي إلاّ بـ(الموت) بوصفه : اليقين المطلق ؛ فأنّ (المتصوفة) وانطلاقاً مما تقدم يؤكدون على : مصداقية تجاربهم عروجاً نحو المطلق ، مقررين بضرب من الحسم على ضوء الحياة والدنيا من جانب، وعلى الوجود الحتمي المطلق الذي يجاهدون للوصول اليه من جانب آخر.

أنّ الله غير العالم ، وان الخالق غير المخلوق ، ومن ثم فالثنائية بين الحق والخلق من بديهيات الإيمان، وعقيدة يعتقدها كل مؤمن بوجود إله مغاير عن المخلوقين . لكن تلك الثنائية تغيب عن وعي المتصوف عندما يغمره الشعور بالوحدة ، وتتملكه الرؤية الواحدية ، تلك الرؤية الناتجة عن التذوق الخاص والتجربة الفياضة، وأنّ تتلاشى تدريجياً في شعور الصوفي حتى لا يرى إلاّ الله وحده هو الموجود ، وأن العالم وهم.

وهنا تحل الواحدية محل الثنائية في التجربة الصوفية ، ثم أن الصوفي يعيّ تجربته الصوفية بوصفها : سفراً نحو المطلق والأقاصي ، وذلك السفر يقومه الصوفي بما يسفر عنه دون ان تكون الاسفار نهاية للسفر ، بل هو بداية متدفقة تتجدد باستمرار ، ولاسيما إذا كان السفر سفر تيه وحيرة ونداء روحي اعترى – جبران – المتصوف قبيل الشروع في السفر او الابحار نحو العزلة الروحية المقترنة بالعلوم الذوقية الكشفية ، وان عنصر الكشف فيها أعلى وأرفع من عنصر العقل ، والكشف الذي هو طريق العارفين تتوارد علومهم ، ومن معدنه يتلقون أنوارها وأسرارها ؛ ومعنى (التصوف) على ضوء ما يرى احد الشعراء[2] :

لَيْسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ تُرَقِّعُهُ * * * وَلَا بُكَاؤُك إنْ غَنَّى الْمُغَنُّونَ
وَلَا صِيَاحٌ وَلَا رَقْصٌ وَلَا طَرَبٌ * * * وَلَا ارْتِعَاشٌ كَأَنْ قَدْ صِرْت مَجْنُونًا
بَلْ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُوَ بِلَا كَدَرٍ * * * وَتَتْبَعَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَا
وَأَنْ تُرَى خَاشِعًا لِلَّهِ مُكْتَئِبًا * * * عَلَى ذُنُوبِك طُولَ الدَّهْرِ مَحْزُونًا

أنّ التجربة الصوفية تُعبر عن معاناة وجودية عميقة ومعقدة ، ترتبط بفضاءات روحية ونفسية لا محدودة تستعصي على الوصف والنعت ، وفي غمار الذوق الصوفي تخرس العبارات ، فلا بيان ولا نطق، بل ذهب القوم إلى أن العجز عن التعبير علامة صدق وعمق التجربة ، فكلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة ، حيث كان – جبران خليل جبران – وجهاً لوجه مع عصره . كان صراعاً سافر فيه الى جميع حنايا وخفايا العصور ليبلور الحكمة التأملية عله يعثر على ذات للإنسان الضائع وسط كومة التيه والتمرد . أنّها نزعته الصوفية التي تتجسد باعتناقه المنهج العرفاني الذي يعتمد: (الحدس ، والرؤيا، والبصيرة) للوصول الى المعرفة ، فإذا كان العقل يرى المظهر الخارجي للأشياء عبر البصر ؛ فأنّ القلب يرى بـ(البصيرة) جوهرها الاصل ، ويفهم أعمق أعماقها ، فضلاً على إشارته إلى زُهاد الشرق وحكمائه من متصوفة المسلمين: كـ(ابن سينا والغزالي وابن الفارض) ، غير أن تصوفه يتمرد على تصوف هؤلاء: فلا استسلام عنده ولا جمود ، ولا فناء ولا عدمية ، لا جذبة او انخطاف ؛ لذلك تراهُ لا يدعو إلى الزُهد والتقشف ، بل يسمو متجاوزاً الأفق ، ولا يقضي على الاهواء ، بل يعمد إلى المؤالفة بينها وبين العقل والاله ، فهو يرى في الشر عطشاً الى الخير ، وفي الالم سبيلاً الى المعرفة ، لا ينكر المادة ، بل يبصر من خلالها سلماً الى الروح .

هكذا هو جبران خليل جبران يسمو من (السابق) المستوحد الى (المصطفى) إلى(يسوع ابن الإنسان) ، وهو يشدد عن طريق ما تقدم إلى المصالحة مع الحياة والناس والكون / **اولاً** ، وإبطال العودة إلى الجسد / **ثانياً** ، من أجل التناغم مع النظام الكوني ، والسكن للسلام الداخلي في احضان الام الكونية (الروح الشاملة الواحدة) . جبران هو ذلك الثائر المتمرد : **(الثائر)** على اللغة ، و**(المتمرد)** على التقاليد ، الرافض لواقع مجهول صاحب الفلسفة العميقة التي أينعت من تربة الاحزان ...كتب عن الحرية والمحبة والانسان والحياة ، فأوقد بذلك مئات الشموع في عتمة الارواح التائهة . كان يطمح الى ان يحرر الانسان من قيود اهوائه ، وان يطلق لجناحي روحه العنان في فضاء اللاحدود ، وفي فضاء الجنون تارة اخرى ، اراد للإنسان أن يصبح قادراً على اكتشافه ذاته وطاقاته الدفينة . كان يحاور الليل والبحر والشمس ، ويتألم لأنين الشجر ، وتهمي دموعه مع ترنيمة البلبل الاسير الطافحة بالزفرات .

- **التوطئة : في البدء كان الرفض والتمرد :**

لقد كان محيط – بيئة – جبران يُعّد من أهم المؤثرات التي ولدت التناقض الرهيب في نفسيته ؛ لان ذلك المحيط كان متبايناً تمام التباين مع الطبيعة التي احتضنت(بشري الشمالية) – مسقط رأس جبران في لبنان – حيث كان جبران يرى في تلك الطبيعة ملاذاً آمناً ، في حين يكتنفه – أي جبران – البؤس والجحيم في بيئته ، وهو لا يسمع فيها إلاّ عواء فاقة ضاربة ، وعربدة والد امتهن السُكر ، وام مؤمنة صغيرة على مضض الزمان، مات زوجها الاول تاركاً لها طفلاً يتيماً (بطرس) شقيق جبران الاكبر ، فتزوجت (خليل جبران) لعله يبدد شقاء الترمل ، غير أنّه زادها

بلاء ، وأتى عليها مرض (السل) ليعمق البؤس العائلي والفقر المادي ، والذي – أي مرض السل – ما برح يستحوذ مخيلة الفتى جبران [٣] .إن هنالك تناقضات تولدت لتمرد عنيف وثورة جموح في نفس جبران انعكست أصداءها على مؤلفاته ونتاجه [٤]، ناهيك عن الحرمان والتمايز الطبقي المليء بالظلم ، حيث كانت بيئته الاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر بيئة معقدة ظالمة تقرّ بالتمايز الطبقي ، وتأخذ بالتعصب الطائفي ، وتتبع سبيل الاقطاعية في وجهيها : السياسي والديني، فضلاً على ما حل بالبلاد من ضائقة اقتصادية ، ومن وهن في آلة الحكم حتى لم يَعدّ في البلاد الا طبقتين متناقضتين : الأولى / تموت من الفقر والمرض والجوع ، والاخرى / يبطرها الثراء الفاحش والرفاهية والتخمة بأنواعها .تلك البيئة الاجتماعية التي تسيغ المظالم ، وتستبيح حرمات القلوب ، فإذا الحب الذي تلاشى بين قلب جبران خليل جبران ، وقلب حلا ظاهر – يُسميها في (الاجنحة المتكسرة) سلمى كرامة – يتهاوى تحت اقدام التمايز الطبقي ؛ لأن (حلا) من طبقة الاقطاعيين الاغنياء ، وجبران من طبقة الفلاحين المزارعين الفقراء، وذلك الحب البائس الذي نتف ريشه وقص جناحيه من أنّ يخلق في عالمه يُعّد بمثابة الشرارة الاولى أو الدافع القوي للثورة على المظالم الانسانية لدى جبران [٥] . لقد أثر تنوع مصادر الثقافة الجبرانية في نظرته إلى الدين، وأبعده عن تراثه الماروني. فقد قرأ جبران كتباً سربها إليه (فريد هولند داي)[*] ، ومنها :(زمان الخرافة او جمالات الميثولوجيا ، والمنجد الكلاسيكي)، إذ يذكر جبران : إنّه بعدما انتهى من قراءتهِ لتلك الكتب ، صرخ : **(أنا وثني !)** – إذ يمكن ان نُعلل تلك الصرخة من – وجهة نظرنا – : بأنها صرخة تأثر وتمرد: **تأثر** بما قرأ ، **وتمرد** لما فقه – فضلاً على تأثره بأبطال الميثولوجيا، وقربهم في لا وعيه من (الجبار المصلوب) ، حيث يظهر ذلك التأثر في بعض كتاباته : كـ(رماد الاجيال والنار الخالدة)[**]، وفيها تظهر شخصيات ، مثل : ناثان –ابن الكاهن حيرام – والالهة عشتروت–ربه الحب والجمال)[٦].

زد على ما تقدم : تأثره بما زودته به والدته بالبوم لـ(ليوناردو دافنتشي) الذي ظل معجباً به بصمت ، وبعد وقت طويل كتب يقول :"**لم أر قط عملاً لليوناردو دافنتشي إلا وانتاب أعماقي شعور: بأنّ جزءً من روحه تتسلل إلى روحي**"[٧]. وقرأ جبران أيضاً الشعر العربي والفلسفة العربية ، فأعجب بـ(ابن الفارض) ، وتأثر به وبالشعر الصوفي، إذ قال عنه : **(في شعره ما لم يحلم به الأولون ، وما لم يبلغه المتأخرون)**[٨] . كما فتنته قصيدة (ابن سينا في النفس) * ، والتي يقول عنها :(**ليس بين ما نظمه الاقدمون قصيدة ادنى الى معتقدي ، واقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس)**[٩] ، وعندما يقارن بين تلك القصيدة وبين آبيات لـ(شكسبير وشيلي وغوته وبراوين) – اطلع على نتاجاتهم فتأثر بهم – يقرر : ان **(الشيخ قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عدة . فقد وضع في قصيدة واحدة ما هبط لصور متقطعة على افكار مختلفة في ازمنة مختلفة ، وهذا ما يجعله نابغة لعصرهِ وللعصور التي جاءت بعده)**[١٠]، كما يبدي اعجابه بـ(الغزالي) الذي يعدّهُ :**(أقرب إلى جواهر الأمور وأسرارها من القديس أوغوسطينوس)**[١١] .

إلاّ أن أهم ما ورثه جبران عن الثقافة العربية والشرقية هو : تمثله لشخصية (المخلص) أو (النبي) ولغته ومواقفه ، وهو ما يُعبر عنه جبران في احدى رسائله إلى (ماري هاسكل) في العام ١٩٢٩، اذ يقول فيها : **(أن الطموح**

الجوهري للشرقي العظيم هو ان يكون نبياً) [١٢]. غير أن الجبرانية على حد تعبير (ادونيس) هي جوهرياً : قوة انسانية ، ثم يضيف – ادونيس – قائلاً: أن الفرق بين النبوة الالهية والنبوة الجبرانية هي : ان (النبي) في الاولى / ينفذ ارادة الله المسبقة الموحاة ، ويعلم الناس ما اوحى له ، ويثقفهم به .

أما جبران فيحاول على العكس ان يعرض رؤياه الخاصة على الاحداث والاشياء ، أي وحيه الخاص ، وحين نفرغ النبوة من دلالتها الالهية نرى : انها الطريقة والغاية لنتاج جبران كله[١٣].

فجبران يُقدم مفهوماً جديداً ضمن تراث الكتابة الادبية العربية للإنسان والحياة [١٤]، ونضيف لما تقدم : تأثر جبران بـ(نيتشه)[*] وبكتابه (هكذا تكلم زرادشت) الذي عدّه جبران من اعظم ما عرفته كل العصور ، وإعجابه بكل من : شكسبير وشيلي ؛ لأنه يعتقد: أنهما تحررا من ربقة الماضي ، فضلاً على تأثره بـ(وليم بليك) [**] الذي يقول عنه : **(لن يتسنى لأي إمرىء أن يتفهم بليك عن طريق العقل ، ولا يمكن ان تراه الا عين العين)**[١٥]، والذي اكتشف منه جبران عالماً اسطورياً وتنبؤياً ، وبهره بتنوع الينابيع التي أثرت بمفرداته الشعرية، وتأثره بخصوبة أعماله الرمزية الموسومة بـ(الجدل الروحي) ، فضلاً على ما أشارت إليه (ماري هاسكل) : بأنّ روح بليك ربما تكون قد تقمصت شخص جبران ، وكذلك ما قدمته الحرب العالمية الاولى لجبران من مادة غزيرة للتأمل الجذري في طبيعة القوة ، وماهية الضعف في النفس البشرية ، وينتهي إلى اكتشاف مكنون إنساني أعمق وأبعد من ظواهر القوة والضعف ، وهو : قدرة الإنسان الروحية اللامتناهية التي رأي في التوصل إليها ممكنا عبر الحوار الباطني مع النفس ومع الانسانية ، لأن ذلك الحوار يمكن عدّه طريق جبران الى التجربة الصوفية ، كما تأثر بالأجواء المماثلة في الولايات المتحدة الامريكية ، والتي جعلته يخرج عن التقاليد المسيحية ، حيث أخذت تولد في نفسه بذور (الهندوسية والمانوية والزرادشية والبرميتيه والاورفية). وقد أخذ عن (ماترلينك) فكرة : (تواحد الشخص مع المطلق) ، وهو ما ادى به الى ولوج النزعة الصوفية / الحلولية ومبدأ التقمص[١٦] ، والى ذلك أشار الأستاذ (وديع ديب) – والذي اتفق معه – إذ يقول : أن أدب جبران في غالبه هو : انعكاس وتفاعل روحي وفكري استمده من (وليم بليك ، ونيتشه، ورودان)، فالأول : شاعر انكليزي ، والثاني : فيلسوف الماني ، والثالث : فنان فرنسي ، هذا وليست الفلسفة الامريكية في حقيقتها الا نتاج تفاعل فكري عالمي ، انبثق من ذلك الخليط العجيب من العناصر البشرية التي اتيح لها ان تصهر من جديد في بوتقة ذلك العالم الحديث [١٧] .

فإذا اعتقدنا : أن التصوف قائم على الزهد بالدنيا والعشق الالهي والمعرفة الاشراقية أو العرفان والفناء بالله ، فإنّ ذلك مدعاة لأنّ نتساءل: إلى أي حد كان جبران متصوفاً؟

- **إنسان جبران الصوفي وثنائية الجسد والروح:**

إنّ الإنسان منقسم إلى : سر وعلن .**أما <u>علنه</u>** : فهو الجسد المحسوس بأعضائه وأمشاجه . وقد وقف الحس على ظاهره ، ودل التشريح على باطنه . **أما <u>سره</u>** : فقوي بروحه[١٨]. ولا يخرج مفهوم (الإنسان) عند ثنائية الجسد

والروح التي هي كوحدة تمثل ماهية الإنسان وجوهره ،وأن الخلل إذا حدث في سير علاقتهما حدث الانتكاس ، وسارت الذات نحو العالم البهيمية أو نحو الهمجية[١٩]، أي نرى : إن مفهوم الإنسان لا يخرج (Theodcee) ، وعلى غرار ذلك : تفهم الفلسفة الإنسان عن المعنى القائم بالبدن ، ولا يخص بذلك الهيكل ، وإنَما الشيء الذي يُحرك البدن [٢٠].

ولعل مقولة الأشعري مأخوذة من نظرتهم ، حين قال:"**أن الإنسان هو هذه الجملة المصدرة ذات الابعاض والصور**" [٢١]، وعند الصوفية لا يخرج ذلك المفهوم – أي الانسان – عن كونه : برزخ بين الوجود والامكان والمرآة ، والجامعة بين صفات القدم والحدثان والواسطة بين الحق الذي هو الله والخلق [٢٢]. ولعل الطبيعة تشكل نقطة انطلاق التطور الإنساني. فالإنسان هو : جزء من الطبيعة ، لذلك فهو بحاجة إليها كشرط طبيعي لوجوده[٢٣]، وهو ما يقرّ به (جبران) عندما يتحدث عن انسانة ، فيقول:**أن الإنسان يُعدّ جزءً من الكيان الحي والعالم الطبيعي والروحي حوله ، وانه جزء من هذا الانسجام المتكامل في الطبيعة**[٢٤] ، فضلاً على ذلك ، فأنّ جبران يُشير إلى فكرة وجود الروح الالهية في قلب كل إنسان إذا حث الخطى للوصول اليها ، وان فكرة وجود التناقضات النفسية في داخله هي : جزء لا يتجزأ من كيانه الشعري ، ومن تكامله الذاتي ، فضلاً على حديثه عن طقوس الصلاة الفضلى التي توصل الى نقطة الكمال الروحي [٢٥]. ويرى جبران: أنّ الإنسان جزء من الهيولي– وهو عينة من عينات هذا الكون اللامحدود – فالتعرف الى تلك العينة ، معناه : الاحاطة بكليات الحياة ، فالإنسان هو : **ذرة ضئيلة جداً من غبار ذلك الكون اللامتناهي ، ويدور في فلكه بإتقان ووضع عجيب** . يقول جبران في ذلك :" **كل ما في الوجود كائن في باطنك ، وكل ما في باطنك موجود في الوجود ، وليس هنالك حد فاصل بين اقرب الاشياء واقصاها**" [٢٦].

مما تقدم نستشف : ان فكرة الوحدة بين الانسان والله والوجود هي التي قادت جبران الى القول : **ان الانسان مسير وليس مخير** . وهنا تتجلى اهمية فكرة جبران عن (الانسان الكامل) ، فهو يقول : **ان الانسان يسير نحو الكمال عندما يشعر بوحدته مع الوجود ، وعندما يختبر المواقف والحالات الانسانية المختلفة ، فاذا استطاع الانسان ان يختبر ويعلم جميع الامور ، فانه يصل الى الكمال ، ويصير ظلا من ظلال الله** [٢٧]

ثم يسترسل جبران ، فيقول : يخطئ من يقسم الانسان الى : جسد وروح *، فالجسد هو : روح ظاهرة ، والروح هي : جسد خفي ، واذا كان الانسان يتكون من : وحدة هيولية ، ومن فكرة هي : (الأنا) ، فأنّ ذرات وحدته الهيولية ستبقى ببقاء الهيولي، كما أن الفكرة التي هي:(الأنا) تكون بمثابة كيان أزلي ابدي خالد لا يتغير إلاّ ليتجوهر،

ولا يختفي إلاّ ليظهر بصورة اسنى ، ولا ينام الا ليحلم بيقظة ابهى ، فكيف يمكن ان تقرر خلود العناصر التي تتألف منها العين ، ونشك بخلود النظر الذي اتخذ العين إله له ، وفي ذلك يتجلى إيمان جبران بفكرة (التقمص)**، وفكرة (العود الابدي)*** لا سيما اننا نراه يقول : (**اذا غمضت بصرك، وفتحت بصيرتك رأيت بداية الوجود ونهايته تلك النهاية التي تصير بدورها بداية ، وتلك البداية التي تتحول الى نهايته**)[٢٨].

ويؤكد جبران ما كان قد قاله في نص (الكمال) من ان الانسان لا يبلغ مرتبة (الانسان الكامل) حتى يختبر التجارب التي يتعرض لها البشر من حزن وألم وسقام ، إذ يقول [٢٩] :

يا نفسُ لو لم أغتسل بالدمعِ أو لم يكتمل
جفني بأشباح السقام
لعشتُ أعمى ، وعلى بصيرتي ظفر ، فلا
أرى سوى وجه الظلام

كما يؤكد : ان الحياة لا تنتهي بـ(الموت) ؛ لان الموت ما هو سوى فجر جديدي تبدأ معه حياة (الخلود) ، فقلبه الظمآن واثق :ان الموت الرحوم يحمل في جرته الماء السلسبيل الذي يروي عطشه الابدي ، فاسمعه وهو يناجي بذاته ، فيقول[٣٠] :

يا نفسُ ما العيش سوى ليل اذا جنّ انتهى
بالفجر ، والفجر يدوم
وفي ظمأ قلبي دليل على وجودِ السلسبيل
في جرةِ الموت الرحوم

لذلك لا يقول بموت الروح مع موت الجسد سوى الجاهل ؛ لان الزهور تمضي . ولكن البذور تبقى ، وتلك هي حقيقة (الخلود) . لقد رأى جبران نفسه عبد الله ، خاضعاً لشريعته ، فاصلاً بين عالمه الانسان والعالم الالهي ، ثم ادرك : انه جسداً ترابياً وروحاً علوية ، فامتلك شيئاً من الالوهية ، سرعان ما اصبح الابن الحبيب الذي سيرث ملكوت الرب ، الا انه يدرك ايضاً : ان الله بعيداً عنه متجاوزاً اياه ، ثم يخاطب جبران الله مكاشفاً اياه قائلاً له : **(يا إلهي الحكيم العليم ومحجتي . انا امسك وانت غدي ، انا عروق لك في ظلمات الارض ، وانت ازاهر لي في انوار السماوات ، ونحن ننمو معاً قبالة وجه الشمس)** [٣١].

نستشف من النص : ان جبران وضعنا تجاه طقس تطهري شاهداً على الحضور ، وهو ما جسده رمز (الشمس) ، بعدّهِ رمزاً للمعرفة ، إذ يبلغ فيه جبران سموه الى الاله ليحصل على عطفه محققاً تصوفه إلى الله ، ويمكننا أن نستنتج مما تقدم –أيضا– : ان خلف النصوص الصوفية المذكورة آنفاً هنالك كيان لإنسان – نعتقد هو جبران – مميز ، انسان استيقظت فيه الروح ، فتوجه بكليته ليتعرف الى الله ، وذلك عبر تجربة ذاتية ذوقية ، فالمتأمل لذلك التعريف يمكنه ان يستشف : ان هنالك (يقظة روحية) تسري بجسد جبران بِعدّها أداة المعرفة لعلاقة الانسان بالله عن طريق الذوق العرفاني .

- **يقظة جبران الصوفية وحلم التجرد :**

لقد عَمَدَ جبران إلى تصوير (اليقظة الروحية) ، والتي يُسميها أحياناً بـ(اليقظة المعنوية) في كثير من مقطوعاته، والتي يمكن ان نُسميها – نحن – بـ(الولادة المعنوية) ، وهي : طريق صوفي باطني تطهري يصل بصاحبه الى درجة

الفناء [٣٢] . فقد قال رسول الله (صل الله عليه وسلم):(ان تلد الامة ربتها)، وفي رواية عند البخاري:(**إذا ولدت الامة ربها**) [٣٣]. فالمتأمل لما تقدم يُدرك : ان المقصود هو: خروج الحقيقة من النفس ، كما يخرج الوليد من بطن امه ، أي بمعنى : ان الربوبية تخرج و(الخروج) هنا معناه : ظهور من حيث التجلي لا حركة انتقالية من العبودية ، فتلك (ولادة معنوية) عبر عنها (صل الله عليه وسلم) بصورة تمثيلة تحيل الى الحس ، ثم يستنطق جبران تلك (اليقظة) ، فيقول : **هي يقظة في اعماق النفس فمن يعرفها لا يستطيع اظهارها بالكلام ، ومن لم يعرفها لا ولن يدرك أسرارها**[٣٤]، ويقول أيضاً ، وهو يحاول مقاومة زوبعة التمرد على الشرائع بغية اكتناه الامور في حقائقها : "**ولكنني لم أبلغ منازل الناس ، وأُودي حركاتهم ، واسمع اصواتهم حتى وقفت قائلاً في سري** : نعم أن (اليقظة الروحية) هي : **أخلق شيء بالإنسان ، بل هي الغرض من الوجود** [٣٥]."ولكن تلك اليقظة التي يجعلها غاية الوجود تظل وقفاً على الصفوة؛ لأنّ العامة ترزخ تحت وطأة مفاهيم مقننة تخدر الارواح – طقس من السُكر الصوفي – إذ يقول : " **فإذا ما قام رجل وصرخ بالنائمين ، وملأ منازلهم ومعابدهم وممالكهم بالضجيج ، فانهم يفتحون اجفانهم المطبقة بالنعاس الابدي ، ثم يقولون متثائبين : ما أخشنه : فتى لا ينام ، ولا يدع الناس ينامون ، ثم يغمضون عيونهم ويهمسون في اذان ارواحهم : هو كافر ملحد** "[٣٦] ؛ لذلك ونتيجة لاستقراء النص اعلاه نُدرك : ان الروح عند جبران قد تتخذ صوراً ، فمرة تكون **<u>الجسد الخفي</u>** ، او **<u>الروح القدس</u>** . وقد تسمو مرة اخرى ، فيقُصد بها : **الاعماق** او **<u>الباطن ضد الظاهر</u>** .وقد تكون **<u>ذات خفية</u>** . فيقول :" **ولكن لم اهمس (جبران) لفظة " مجنون "* في اذن روحي ، حتى حدق بي يسوع شاخصاً ، ورفع صوته عن ذي قبل ، وقال : نعم انا مجنون**[٣٧] **!**؛ لان الجنون ربما كان بالنسبة لجبران هو : **اول خطوة نحو التجرد** ، لذلك فهو يقول : "**صرخت بالناس قائلاً : " اود لو تصلبوني " فقالوا : لماذا يكون دمك على رءوسنا . فقلت لهم : وكيف تفاخرون بأنفسكم ان لم تصلبوا المجانين**"[٣٨]. فـ(الصلب)* يكسب جبران مزيداً من القوة والحرية والتوحد والتفرد ، بل الصلب يهدي تورة نفسه ، وهو بطلب الصلب – في النص المذكور آنفاً يقدم لنا معنى نفسياً آخر هو : الخلاص من الاسر والغربة والاندماج بالأبدية حين يتحد بالمسيح بـ (أمه/الروح)، فضلاً على أن الصلب يصبح رمزاً لإثبات الذات لا رمزاً للفداء والتضحية .وهي– أي يقظة الروح – يقظة إشراقية : كالنور الذي يقدمه الله في الصدور ، والذي أشار إليها الغزالي ، وهي نفسها التي يُعبر عنها الصوفية بـ(الولادة الثانية)**، فنرى مفردات وتعابير : كـ(الأب الروحي والأم الروحية) عند (ابن عربي) مثلا مقابل (الأب الترابي والأم الترابية) ، وهي أيضا : (ولادة معنوية) ،

والتي أشار إليها عيسى (عليه السلام) بقوله : **(لن يلج ملكوت السموات من يولد مرتين)** [٣٩]. في إشارة إلى الولادتين :الروحية والمعنوية ، والتي يمكن أن نطلق عليها (الصوفية الروحية)– من وجهة نظرنا – لتقاطع المؤثرات، إذ يقول جبران في موضوع (الإنسان الترابي): "**نفحت من روحي**"، حيث تأتي هذه الجملة في سياق الآتي : "**وخاطبت الله قائلاً : أنا جبلة يديك يا خالقي من تراب الأرض صنعتي ، وبنفحة من روحك العلوية أحييتني . فانا مدين لك بكليتي**"[٤٠] ، إذ يحشر الإنسان ، وهو قرين بـ(الوحدة) * في منظر القرآن كما يولد على النسق ،فلذا يقول

جبران عن حشر الإنسان :" **وحيد ! وماذا في الامر ؟ جئت الى العالم وحيدا، وستمضي في الضباب** " [٤١] . فتلك المشاعر الراقية السامية ، هي : احاسيس صوفية ، وانّ كانت لن تصل بعد الى مرتبة الحياة الروحية التي تتفتح بـ (التجربة الصوفية) ، ونظيره في القرآن : "**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما حولكم وراء** "[٤٢].

ولكن نقف ازاء ما تقدم لنتساءل : أليست المدنية بما فيها من التلبس والاشكال تُعدّ من دواعي (اليقظة الروحية) ؟ وكيف يا ترى نستطيع انكار امر موجود ، ونفس وجوده دلالة على اثبات صلاحيته ؟ فقد تكون المدنية الحاضرة عرضاً زائلاً . ولكن الناموس الابدي جعل الاعراض سلماً تنتهي درجاته بالجوهر المطلق . لقد ادرك جبران : ان المدنية نوعُ من (اليقظة الروحية) ، والتي هي بمثابة درجة من درجات سلم الصعود نحو الكمال ، ويجب عدم الابتعاد عنها ورفضها ، والانعزال هرباً منها ، ومن الناس وشرائعهم . ودلالة على (اليقظة الروحية) ، يقول جبران على لسان (يوسف الفخري) * في العاصفة **– التي كانت وكادت تعصف برأس جبران ، وتؤدي بطمأنينته وسكينته ، وكان السبب الاساس في ذلك الفيلسوف نيتشه ، واقوال زرادشت التي اسكرته : ان اليقظة الروحية هي : " **يقظة في النفس ، هي يقظة في عمق اعماق النفس ، وهي –** أي يقظة الروح **– فكرة تفاجئ وجدان الانسان على حين غفلة وتفتح بصيرته ....فيرى الحياة مكتنفة بالانغام ، فتنقله من كائن ضائع وسط القطيع الى فرد تكشف له عالمه الداخلي فتميزه ، وهي–** أي اليقظة الروحية – :" **شعلة من شعلات ضمير الوجود تتأجج فجأة داخل الروح ، فتمزق ما يحيط بها من الهشيم ، وتصعد سابحة مرفرفة في الفضاء الواسع ، بل هي : يد ازالت الغشاء عن عيني ،وانا وسط الاجتماع بين اهلي واصحابي ومواطني.فوقفت منذهلاً مدهوشاً ، قائلاً في نفسي ما هذه الوجوه ؟ وما شأن هؤلاء الناظرين الي ، وكيف عرفتهم ، واين لقيتهم ، ولماذا اقيم بينها ؟ بل لماذا اجالسهم واحادثهم ؟ هل انا غريب بينهم ام أوهم الغرباء في ديار نبتها الحياة لي ، واسلمتني مفاتيحها** " [٤٣].

ولا يخفي جبران صفة (النبوة) (عن يوسف الفخري) ، بل هو يصرح بها على لسانه عندما يجعله منكراً لجميع الشرائع والاديان القائمة بين الناس ، ومع ذلك يتحدث عن دينه ، فهو صاحب دين اذن ، أي هو نبي ، فاسمعه يقول : (**اما التنسك ، وهو قهر الجسد واماته رغائبه ، فهي مسألة لا مكان لها في ديني)** [٤٤] .

وبمعنى آخر نستطيع ان نطلق على (اليقظة الروحية) بانها : نوع من الارتقاء الروحي القائم على المعرفة القلبية والاستكشاف الباطني ، والاهتمام ببواطن الاشياء ، والفروق عن ظواهرها الخارجية العارضة ، وهو ما أمن به جبران، والتي لا تخلو كتاباته من الفاظ وتعابير صوفية ، مثل: الشوق والجوع الروحي ، والذات المعنوية ، والنور الالهي التي اسبغ عليها جبران صفة التجاوز الصوفي التي لا يفهمها سواه – حسب وجهة نظرنا– .

معاناة الصمت الباطن في تجربة جبران الصوفية :

تتمثل التجربة الصوفية في الانسان الصوفي الذي استيقظت روحه ، فأيقظت كوامن احاسيسه ومشاعره ، فتوجه الى الله شاحذاً حواسه وبصيرته ، متوغلاً في تجربة خاصة هي تجربة الوصول الى الحياة الروحية ، والتي تُعدّ تجربة صوفية ، فضلاً على أنّها مواهب إلهية تظهر عن طريق الوجدان قُرباً الهياً ، وفي البصيرة عرفاً لدنيا [٤٥] .

فتجربة جبران هي : معاناة منذ استيقظت روحه ، وهو يتصوف وروحه تحاول التحرر من قيود الرق للأكوان ، ثم ما لبث ان غاص في اعماق الصمت ، فعانى المجاعة الروحية ، وذلك بِعّده : كائناً يستلذ بالتصوف فيتطابق الوجدان عنده ويسمو مع حالته الوجدانية ، فيصور احواله واحاسيسه ومعتقداته دون ان ينظرها ، فنراه يُعبر عن الفكرة الواحدة بمئات الصور ؛ لذلك ترانا قبالة انسان يرى الاعماق ، وهو الوجود الحقيقي للإنسان ، لأنه يطابق الظاهر مع الباطن ، والكلمة مع العقل . يقول جبران :

" **الاعتقاد شيء ، والعمل به شيء اخر .كثيرون هم الذين يتكلمون كالبحر . اما حياتهم فشبيه بالمستنقعات . كثيرون هم الذين يرفعون رءوسهم فوق قمم الجبال . اما نفوسهم فتبقى هاجعة في ظلمة الكهوف** "[٤٦].

نستدل مما تقدم : ان تجربة جبران تتلخص في ان مضمونها هو وجدانه الفرويدي من جهة ، والجامعة البشرية من جهة اخرى ، إذ يعمد جبران الى وضع ذاته والانسانية والله كمضامين تجربة يقطع مسافتها في عمق المعاناة ، وهو عكس الصوفي الذي يحيله من نص مضمون لتجربته . ولعلنا نستشف ذلك في مراحل ثلاث تبدأ منذ كتابه (الموسيقى / في العام ١٩٠٥) ، حتى نهاية حياته في العام ١٩٣١ ، اذ يمكن ان نحدد المرحلة الاولى / من العام ١٩٠٥، وحتى العام ١٩١٨ ، وهي تشمل كتبه الخمسة الأولى التي نشرها بالعربية ، وهي بذلك تُشير إلى : أنّ أنفاس جبران الادبية تبدأ بذات الروح الشعري بـ(موسيقاه / ١٩٠٥) *، نبعاً صافياً من ينابيع عاطفية الهادئة ، ووجدانه الهامس ، حيث يطل على قرائه بلغة شعرية حارة هي انعكاس للطبيعة الرحيبة التي تغنى بها جبران ، وعاش فيها ولها ، لينتقل بعدها الى (عرائس مروجه / ١٩٠٦) و (الارواح المتمردة / ١٩٠٨) مثالاً ادبياً عن (فن الأقصوصة) العربية الحديثة ، حيث الزمان يتحد بالماضي والحاضر ، وتشف الاشياء الأشياء حتى تتلخص أثقالها وأشكالها ، ويكتنفها فرط اللطائف المترجرجة بعض غموض من غموض [٤٧]، إذ نتلمس فيها ثورة إصلاحية تنطلق من رومانتيكيه جبرانيه في تجردها على الظلم وآثام الانانية ، وفي عناقها للبائسين من بني البشر لا تخلو من امتداد مثالي صوفي يذوب في ابتهالات الحب والجمال والخلود ، صامداً بوجه العدمية والفناء ، حيث يصير الألم الجبراني ينبوع غبطة ، ومصدر خير ، ووحيد دعواته الصارمة والمتطلعة الى الحرية المطلقة البعيدة عن الزيف والنفاق من أجل قهر العذاب ، ووأد الاضطهاد ، وستر الاستبداد ، وقتل البؤس ، وانقشاع ضباب الجور ، فلابد لرماد الحرية ان يثأر لناره في يوم من الايام ، وبعد ان يجرب فن الاقصوصة تظهر(الأجنحة المتكسرة /١٩١٢) مثالا أدبيا لفن (القصة)، فيُدون بأدواته الفكرية والشعرية نفسها اعترافاته العاطفية،فيتبعها بـ(دمعة وابتسامة / ١٩١٤) ، والتي تضم (٥٦) قصيدة نثر هي في الحقيقة(نثر شعري)، إذ يربط بينهما بُعدان او مضمونان،هما :

المضمون المثالي الصوفي والمضمون الانساني الاصلاحي او المضمون الانساني الاجتماعي ، وهما : مضمونان عشقهما جبران وعاش لهما رومانتيكيا ورمزيا وواقعيا اصلاحيا ، ويمكن ان نُسمي تلك المرحلة أو نطلق عليها (المرحلة الرومانسية) ، وقد اودع فيها جبران تمرده على الحياة بقوانينها الصارمة ، وتقاليدها العمياء ، وشرائعها التي لا ترتاح اليها ، في حين تمتد **المرحلة الثانية** / من العام ١٩١٨ ، وحتى العام ١٩٢٣ ، حيث كتب فيها جبران (المواكب /١٩١٩) بالعربية ، و(العواصف /١٩٢٠) و(البدائع والطرائف / ١٩٢٣)،فضلاً على كتابه

(إلهة الأرض /١٩٣١) باللغة الانكليزية ، إذ تكتنف تلك الكتابات بنية وجدانية تتملك النص عبر ثنائيات إصطبغها جبران ، وهي قائمة على التناقض ، والتي يمكن أن نُسميها – نحن – (المرحلة الثورية المتحدية)، حيث تتصاعد الرومانسية لتنتهي الى اكتشاف :ان القوة الانسانية تكمن في : الروح الخاص والعام ، ثم نُسبر أغوار **المرحلة الثالثة** ، والتي يمكن أن نطلق عليها تسمية (المرحلة الحكمية) ، إذ تعمد إلى المثل أسلوبا كما في ثلاثيته الانكليزية : (المجنون ١٩٨١)، و(السابق /١٩٢٠) و (التائه /١٩٣٢) ثم نعمد – نحن – إلى إضافة **مرحلة رابعة** فيها نبين : إنّ جبران اختصر خلاصات تجارب وتأمله للحياة والانسان والسكون والعلاقات المتسامية، وهي المرحلة التي تُعدّ ذروة نضجه ، والذي يتمثل بـثلاثية اخرى باللغة الانكليزية ، وهي : (النبي /١٩٢٣) و(يسوع ابن الانسان /١٩٢٨) ، و(حديقة النبي /١٩٣٣) ، ويكاد ذلك (النتاج /الموقف) أن يكون علامة فارقة في تراث يتباين بخصوصية الآراء . لكن على الرغم من ذلك التباين هنالك اجتماع واجماع على شمولية الانسانية التي تروض العرب بحكمتها الصوفية ، وتخرج الشرق من المطلقات المسبقة الى التجربة الشخصية الحية باتجاه المطلق[٤٨]. وحتى نبين للقارئ التجربة الصوفية الجبرانية بصورة واضحة سنتخذ من (ارم ذات العماد) انموذجا ، فـ (ارم ذات العماد) * – هي: خلاصة ما بلغ به جبران من العمق الفلسفي ، والخوض في بؤر النفس الإنسانية ، وكشف مكنوناتها وأسرارها . وقد ابتغى جبران من وراء (ارم ذات العماد) : أن يُبدل بؤس أعماق المجتمع بأغلفة الأصالة بحثا عن الغذاء الروحي الكوني في الفضاء الأزلي السماوي ، حيث يهرب جبران من عالم يسكنه الخداع والنفاق إلى الهجرة ، ومتاع الروح الذاتي ، وترف التأمل الروحاني والميل الطاغي إلى الذات المعنوية بالروحانية الهائلة ، والتصورات الشمولية في الكون والإنسان والحياة [٤٩]. وفي (ارم ذات العماد) تتجلى المعاناة الروحية والأزمات الفكرية والاعتقادية ، والهرب من كوابيس الاستبداد ، وظلام الموت المخيف ، ذلك التحالف الوثيق بينهما ، فضلاً على أيديولوجيات ارتدادية طاغية متطرفة منحرفة ...تلك المدينة – ارم ذات العماد – هي بعيدة المنال ، صعبة الوصول إليها إلاّ عن طريق التشوق والتقرب اليها يُمكن من بلوغـها، إذ يقول جبران :(**كل إنسان ان يتشوق حتى ينزع الشوق نقاب الظواهر عن بصره ، إذ أنّ عن طريق ذاته يمكن أنّ يرى جوهر الحياة المجردة**) [٥٠] .ولكن كيف الوصول الى (ارم ذات العماد) ؟ .أن الظمأ الروحي عند جبران هو السبيل الموصل الى (ارم ذات العماد) ، ثم يظهر لنا جبران : ان ضعف الانسان واستسلامه قبالة الاسرار الربانية ، فضلاً على اكتشافه الغيب عما وراء الحجاب ، وعجز الانسان قبالة بديع السموات والأرض تجعل منه إنسان أسير ومقيد وعاجز إزاء ذلك الكون وأسراره ، إذ يقول – جبران – ازاء ذلك :

" **ومن من البشر يستطيع ان يجمع الاثير المحيط بهذا العالم في كؤوس واكواب ؟؟** " [٥١]، ثم يرتقي في (ارم ذات العماد) الى سلم البرهان العقلي السليم في اثبات الحق ، متخذا من النظرية النسبية هادياً له ،ويتجلى ذلك في قوله: " **عجبت لمن يثبت ابديه المسببات . ولكنه يحتم باضمحلال الاسباب ...**" [٥٢].

ويصل جبران الى نتيجة واحده مُفادها : ان الانسان راحل عن هذه الحياة مهما تمرد وتجبر وتمادى ، وان الفراق ملاقيه كما في قوله : (وانا غريب في كل مكان) ، ففي (ارم ذات العماد) يتبلور النضج الروحي الجبراني ، اذ اكتملت عبقريته .انها زبدة من تأملات في الكون والانسان والحياه بمنتهى الدقة والبراعة والإبداع .

لقد أدرك جبران عن طريق (ارم ذات العماد) التحرر بالتصوف بعد أن صهر تلك النزعات الصوفية من دون ان تغيب عنها حركة الزمان والنزعة الانسانية ،اذ يدعو جبران– نتيجة لما تقدم – الى التأمل بانه يكشف اسرار (ارم ذات العماد) ؛ وذلك في قوله : " **ان من لا يشغل سراجه لا يرى في الظلام الا الظلام** " [٥٣].

ويدرك جبران : ان اقوى عنصر في الانسان يتمثل بـ(العقل الباطني) او (الارادة الباطنية) ، وهو : القوة الخفية التي تُدرك كنه الذات ومكنونات الغوامض والطلاسم والظواهر التي تتناولها الحواس مبطنة بقوة كلية شاملة تحرك الظواهر من وراء الحجاب ، وذلك واضح في قوله : "**أن ارم ذات العماد موجودة في باطني**" [٥٤]. وهو بقوله ذلك يُشير إلى التصوف الباطني القائم على الخيال ، لأنّه نَظر إلى الخيال – **متأثراً بوليم بليك** – نظرة صوفية حلقت به إلى ما فوق الخيال ، فكان ينظر أو يرى بعين الوهم ملائكة وشخوصاً غريبة ، وينظر إلى الطبيعة بِعدّها رمزاً روحياً ينبعث من الجن والشياطين ، ويأخذ نفسه بديانة خاصة غامضة .

ترميزات جبران الصوفية ، غموض الرؤيا :

يستقطب جبران رموزا صوفية في تعبيراته أثارت لديه دلالات متنوعة مفارقة لدلالاتها عند الصوفي الذي ابتدعها (مثلاً) : التعري وخلع البراقع ، فضلاً على أن تلك الرموز حركت وجدانه وظهرت على مستوى التعبير عنده ، فـ(الشمس) عنده تُعدّ رمزاً لمصدر التطهر ، وشاهداً على الحضور.اما (الليل) ، فعلى الرغم من ظلمه ووحشته ، وما في اشباحه من الرهبة ، وما في سكينته من الاسرار هو احب الرموز الى جبران ، ففي (الليل) صادف جبران (حفار القبور) ، وفي ظلام الليل وقف جبران يندب حظ اهله ، "وعندما جن الليل" سار نحو البحر، حيث لاقى الاشباح الثلاثة التي كشفت له أقانيم الحياة الثلاثة : (الحب، والتمرد، والحرية) [٥٥] ، إذ يثير(الليل) في نفسه ذكريات ، وما يكشف عنه من اسرار لا يخاف من نجومه ؛ لاطمئنانه الى انها كتوم لا تذيع سراً ، وكذلك الضباب الذي يغطي الكروم بغلالتهِ الرقيقة صاحبَ الأسفار ، إذ بقول [٥٦]:

سكن الليل وفي ثوبِ السكون ، تختبئ الأحلام
وسعى البدر وللبدرِ عيون ، ترصد الأيام
فتعالي يا أبنة الحقل نزور كرمة العشاق
علنا نطفئ بذلك العصير ،حرقة الأشواق

أما (البحر) ،فهو : أحد الرموز الكبرى التي تمثل (الأم /والالم). ولعل تجانس لفظتي (me-mere) الفرنسيين ليس من قبيل الصدفة ، وما يجذبنا عاده الى البحر ليست زرقته ولا رحابته كما قد يظن ، وإنّما نداء داخلي مبهم يرقي الى بداءة الحياة عهد كان البحر ام الحياه الارضية كلها. وقد يعزز تلك الرابطة النفسية الدهرية اللاشعورية إمكان ارتباط الماء ارتباطا لا واعيا لصورة الحليب الذي يرضه الطفل من ثدي أمه [٥٧]– الارتواء الروحي – والبحر في عقل جبران الباطن امتداد مضخم لا نهائي لآمه – منبع التجلي – حاله حال الارض ، وله عنده وجهان : الأول

/ وجه (الروح/الأم) :المتحدة بالأبدية الجاذبة ابنها إلى حنانها الأول إلى حضن السعادة ، إذ يقول المصطفى : "**لقد بلغ الجدول البحر ، ومره أخرى تضم الأم العظيمة ابنها إلى صدرها والماثله عله حياتنا ومصدر وجودنا** "[٥٨].

فيما يُعلق (كلاوبا البتروني) عن المسيح : **انه** " **خاطب البحر امنا العظمة التي ولدتنا** " [٥٩] ، أو هي التي معاد الكل ، وفيها يجتمع الكل ، وتمحى النقائض والنوازع الفردية ، وكأنك في طقس روحاني صوفي ، حيث التجلي للتطهر من الذنوب، إذ يخاطب الجدولين المختلفين ، قائلا : " **هلما إلي ، فانا وأنتما سننسى كل مجارينا حالما نبلغ قلب امنا البحر** ".[٦٠] أنّها دعوة للتحرر والانعتاق والتطهر . والاخر / وجه (الحبيبة / الأم) ، إذ يخاطب جبران (ماري هاسكل) قائلاً:"**ليتني أستطيع أن أعطيك شيئا لم أخذ منك بطريقة ما أنها حكاية النهر والمحيط** "[٥٥]، كما تغني الامواج – عواطف الأمومة – أغنية الحب بينها وبين الشاطئ ، إذ يقول : " **أنا والشاطئ عاشقان يقربهما الهوى ويفصلها الهواء ، أجيء من وراء الأفق الازرق ، كيما امزج فضة زبدي بذهب رماله ، وأبرد حرارة قلب برضابي ....**" [٦١].

أنّه إتحاد صوفي بين عاشقين يبدأ وينتهي بعد مروره بطقوس روحانية ليصل الى حالة من التسامي الروحاني يبرد حرارة قلبه برضاب الذكر والقُبل والسُكر الصوفي . هكذا يتقمص جبران الشاطئ يناجي (سلمى كرامة – التي هي قناع ورمز لحلا ظاهر– البحر)، إذ يقول جبران :" **سوف أصغي لأحاديث نفسك مثلما تصغي الشواطئ لحكاية الأمواج** "[٦٢].

وسنعمد إلى تحليل قصيدة (المواكب) بِعدّها قصيدة ذات حوار– رمزي – فلسفي تتكون من صوتين ، ثم يلي كل حوار بين هذين الصوتين : الحكمة والطبيعة ، فـ(نغم الناي) الذي يبدو (قرارا) او(نداءً) يحث الناس، ويدعوهم الى (الغاب) والطبيعة هي : البساطة المطلقة التي لا حدود لها . إنّ (الغاب)*فوق الفلسفة ، ولولا (الغاب) و(الناي) لكانت الحياة جزيرة مقفرة ، فـ(الغاب) رمز الطبيعة ، ورمز للخروج على التقاليد والشرائع ؛ لذلك يعدّ جبران الحضارة مظهر من مظاهر الطبيعة، في حين يرى باحث أخر : أن المتناقضات التي صورها الشاعر ليست غير انعكاس لحوار وجداني خالص ، وثمره للنزاع الداخلي القائم بين مختلف مظاهر الوجود المتباينة . وقد رد الشاعر تلك المتناقضات والمتباينات إلى مبدأ (وحدة الوجود) وقد يرمز (الناي) إلى مبدأ (التجاذب بين الأكوان) ، أو (نظام الأبدية الدائمة) ، أو يمثل (الحياة بكلتيها) ، أي بمعنى أخر : أن (الناي) هو رمز الوحدة والخلود[٦٣] .أن بناء القصيدة العام مُشيد على نظره صوفية لجبران مُؤادها : "أن الوجود مظهر وجوهر ، وان مظهره مشوب بلفظ الازدواجية والمتناقضات المتصارعة حتى اضطربت الحياة ، وترجرج ميزان القيم الخلقية ، وان جوهره الذي هو : الناموس الكلي العادل قد أُمحت الازدواجية ، وفنيت جميع المتناقضات ، وارتد التباين والصراع إلى سكينه الوحدة المنسجمة "، وان (الناي) هو : العنصر المحول، أي أن (الغاب) بوصفها رمزاً رومانتيكياً عند جبران ، وعند غيره من الرومانتيكيين المهجريين ثورة على ما حدث في المدينة من تشويش وغش وخداع[٦٤]. فيما يرى باحث آخر : ان دعوة جبران للعزف على الناي في ختام كل قطعة شعرية قد تكون رمزا الى الترفع عن المطالب الدنيوية الدنيئة ، وتعشق المثل والقيم السامية . وقد تبدو (الغاب) في هذه (المواكب) الطبيعة بأسرها ، وهي عندئذ تصير رمز التمرد

على العادات والشرائع ، أو هي : التمرد على كل قيد . وقد تكون تنفيسا ايقاعيا عن رغبة جبران في ارتداد الانسان الى جوهره الى فطرته المُحبة للخير، ويبقى (الغاب) في (المواكب) رمزا لمثالية جبران، وتأملاته الفكرية في الحياة والكون والوجود والانسان ، فكان اسلوبه الرمانتيكي الرمزي إستجابه طبيعيه لتمرده الاجتماعي وثورته الفكرية ، اذ يحلم جبران بـ(الغاب) بِعدّهِ عالم الغاب الفاضل كهدف نهائي لمسيرة البشرية ، فلا يخفى أهمية ذلك صوفياً ، إذ يحاول المجتمع الصوفي دائماً إسقاط القيمة ؛ لأنّها صفة زائلة في مقابل الذات كهوية ثابتة . ففي العالم الصوفي يُعدّ الإنسان ذات ، وكل ما موجود ذات ، والقيمة ترجع إلى الله ، فهو مصدر القيمة . يقول جبران في بيان نادر عن "الغاب " [٦٥] :

فغضون ألبانِ تعلو في جوارِ السنديان
وإذا الطاووس أعُطي حلة كالأرجوان
فهو لا يدري أحسن فيه أم فيه افتتان

ثم يعود جبران ليقول في الموضوع ذاته[٦٦] :

ليس في الغاباتِ حُر لا ولا العبدِ الذميم
إنَّما الأمجاد سُخف وفقاقيع تعوم
فإذا ما اللوز ألقى زهرة فوق الهشيم
لم يقل هذا حقير وأنا المولى الكريم

نلحظ : إن جبران وهو يتكلم في المقاطع الخاصة بعالم الدنيا يأتي كلامه عقلانياً تنظيرياً ليس فيه سهولة التعبير والرقة والعفوية مثلما هو في المقاطع التي تمس عالم الغاب ؛ وذلك – حسب اعتقادنا– لارتباط التعبير عنده بالوجدان ، ففي ذلك العالم تنتفي الفروق الطبقية بين البشر ، وتزول الى الابد ثنائيه السيد والعبد أو القائد ، والتابعين او الحاكم والمحكومين، إذ لن يكون فيه أي مسوغ لوجود ايه سلطة من أي نوع ، إذ يقول[٦٧] :

ليس في الغابِ راع لا ولا فيها القطيع
فالشتاء يمشي ولكن لا يُجاريه الربيع

فسكان عالم الغاب لا يشعرون باي حزن ، ولا تنتابهم ايه هموم ، فليس ثمة ما يعكر صفوهم الابدي ؛ ولذلك لا يعرفون السُكر والتحذير ؛ لأنّ المباهج التي يعيشونها ابهى مما يكن أن يصوره الوهم أو يرسمه الخيال ، إذ يقول[٦٨] :

ليس في الغاباتِ حزن لا ولا فيها الهموم
وغيوم النفس تبدو من ثناياها النجوم

وفي عالم كمثل العالم في الأبيات أعلاه لا وجود لأي دين فيه ؛ ذلك ان مجرد وجود دين ما سيقسم الناس الى مؤمنين وكافرين ، وذلك ما يتنافى اصلا مع المجتمع الفاصل الذي لا يُفرق بين مواطنيه ، فيقول في ذلك[٦٩] :

ليس في الغاباتِ دين لا ولا الكفر القبيح

فإذا البلبل غنى لم يقل هذا الصحيح

وللسبب نفسه ايضا لا وجود في عالم الغاب لمفهوم (العدل) ، فالحاجة إلى (العدل) تظهر حيث يستولي أحد على حق من حقوق الاخر . ولكن في ذلك العالم المثالي ليس من يعتدي على غير ، وليس هنالك صراعات أو خلافات بين افراده ، فهم لا يعرفون معنى لمصطلح (العدل) ، كما لا يعرفون معنى (الثواب) او (العقاب) ؛ لأنه ليس هنالك من يتفوق على غيره أو يقتصر عنه في اداء الاعمال الصالحة ، اذ اسمعه يقول في ذلك[٧٠] :

ليس في الغاباتِ عدل لا ولا فيها العقاب

إن حياة (الغاب) هي : حياة العطاء الدائم والولادة المتجددة ؛ لذلك لا وجود لـ(العقم) فيها ، كما لا وجود للهرم او للموت ، فهي حياة الشباب الدائم والخلود الأبدي . انها الحياة التي يتجلى فيها (وحدة الوجود) بأبهى صورها ، فلا فرق بين روح وجسد ، ولا فرق بين عنصر من عناصر الطبيعة وبين آخر ،إذ يقول[٧١] :

لم أجد في الغابِ فرقاً بين نفس وجسد

فالهواء ماء تهادى والذرى ما ركب

فجميع موجودات الكون من اصل واحد ، وما الاشكال المختلفة التي تتخذها سوى حالات من التجول الخلاق الدائم ، وفي ذلك التجول يكمن سر الوجود .

لقد كانت كتابات جبران خليل جبران (شعراً ونثراً) * من أهم المنجزات التي اتجهت مبكراً نحو التيار الرمزي ، وكان اول ما كتبه (الموسيقى /١٩٠٥) اشارة الى ذلك المنحى ، وهو ينهيه بقوله : "**كبر أيها الكون الأولى بنوا في سمائك انفسهم ، وملئوا الهواء ارواحاً لطيفة ، وعلموا الانسان ان يرى بسمعه ويسمع بقلبه . آمين**"[٧٢].

فمن السهل أن نلحظ : الاختلاط الواقع في تلك العبارة بوظائف الحواس: (الرؤية بالسمع ، والسماع بالقلب ، ونشر المعنوي في المادي)، وهو ما يدخل في تكوين الصورة الرمزية (تراسل الحواس)*،إذ يدل (تراسل الحواس) على الوعي الفني حين توسلوا بالإنشاد والرقص والتطلع الى الوجه الحسن لبلوغ الوجد ، وبذلك يتكامل عمل الحواس الانسانية في بنية إستطيقية واحدة كانت ذات تأثير كبير في انتشار حلقات الذكر وطرق المشايخ المختلفة الى جانب ذيوع الشعر الصوفي في دائرة جماهيرية لا تحد ، فذلك الحلاج قد جعل للعقل سمعاً وبصراً ، إذ يقول[٧٣] :

لأنوارِ نور النور في الخلق أنوار وللسر في سر المسرين أسرار

وللكون في الأكوان كون مكون يكن له قلبي ويُهدى ويُختارُ

تأمل بعين العقل ما أنا واصفٌ فللعقلِ أسماع وعاةٌ وأبصارُ

فقد ضايف بين العقل والسمع والبصر ، وبادل بين وظائف تلك الحواس ، كما ضايف بين المجرد (العقل) ، وبين المحسوس (السمع والبصر) ، إذ يقول في موضع آخر[٧٤] :

فإنّ نطقت فكلي فيك ألسنه وأن سمعت فكلى فيك أسماع

فقد أعار حواسه جميعا وظيفة اللسان في صدرِ البيت ، كما أعار حواسه وظيفة الأذن في عجز البيت، ولم يكن كل ذلك ليتم لولا أدراك الصوفية أهمية الرمز الفني وقدرته على التأثير والإيحاء .

ويمكن أن نستنتج : إنّ الرمزيين وعوا طبيعة حالات النفس البشرية المركبة التي تضطر الشاعر بخاصة إلى إشارة ما يماثلها لدى المتلقي عن طريق الرمز فيهِ تتكامل الحواس ، وعن طريقه تتراسل معطياتها ، ويمكن أن نلحظ ما تقدم في قصيدة جبران الشهيرة (المواكب) – أيضاً – إذ يقول فيها[٧٥] :

هل إتخذت الغاب مثلي دون القصور
هل تحممت بعطر وتنشقت بنور
وشربت الفجر خمراً في كؤوس من اثير
هل فرشت العشب ليلاً وتلحفت الفضا
زاهدا في مأساتي ناسياً ما قد مضى
...وسكون الليل بحر موجه في مسمعك
ويصدر الليل قلب خافق في مضجعك

ففي الأبيات أعلاه نلحظ : مظهر من مظاهر الرمزية الجزئية لجبران ، اذ انتقال الحس اللمسي "الاستحمام" مكان الحس الشمي "العطر" ، والحس البصري" النور"مكان الحس اللمسي" التنشيف" ، والحس الذوقي (الشرب) مكان الحس البصري .

الخاتـمة :

إن صوفية جبران ، هي صوفية روحية المنشأ ، أزلية التاريخ ، سرمدية الفكر، فهو زاهد في الدُنيا ، عاشق لله سبحانه وتعالى ، مُغرم بالمعرفة الإلهية . يتمنى الفناء بالذات الإلهية ، غير أن فناء جبران بالذات الإلهية ليس حلولا صوفيا تقليديا متمثلا بانتصار الإنسان على ذاته الضعيفة ، وفنائه النهائي في الله المتمتع وحده بالوجود الحقيقي ، بل هو حلول جبراني خاص يعلن انتصار الإنسان على المكان والزمان . إن جبران يسفر عن وجهه الصوفي الذي يراه بعض الباحثين تصوفا (تحريريا)؛ لأنه يدعو إلى نبذ الحياة التقليدية ، وبناء عالم حر جديد قوامه محبة البشر ، أو هو متصوف (إنتخابي حر) ؛ لأنه يختار من المذاهب ما ينسجم مع المبادئ الإنسانية ، ويحقق سعادة البشر ، أو أن تصوفه ايجابي لا استسلام فيه ، ولا جمود ولا فناء ولا عدمية ، في حين يرفض باحث أخر تلك الدعوة معتقدا: أن تصوف جبران ليس تصوفا (إنتقائيا) أو (إنتخابيا) ، بل أقصى ما يمكن القول فيه هو : أنه فكر كإنسان من

عصره في سبيل عصره ، فوضع فلسفة فاستبدل الهيكل الآلي الجاف بروحية شعرية صوفية المنحى ، دينامية الطموح تتجاوز الحاضر اندفاعا نحو حياة اجتماعية مثالية تساعد الإنسان على تحقيق كماله الذاتي .انه– أي جبران – واضع فلسفة إيمانية المنحى ، حلولية النظرة ، تقدمية الاتجاه ، غير أن الباحثين قد تطرفوا كثيرا ، بل بلغوا حتى الغلو في فهم صوفية جبران ، ففلسفوها أكثر مما يجب ، وصيروها مصطلحات ، ورموز وضربا من الطلاسم ، إذ يرسم – جبران – ببراعة فائقة مفهومه الفلسفي والفكري العميق لمعنى "الروح" بواقعيها : الفعلي والمثالي، وعلاقتها بـ (الجسم) المظهر المادي للوجود ، ولاسيما الكينونة البشرية ، فغاية الروح تكمن وراء ماهية الروح ، ولن تستطيع المظاهر المادية الإعلان الصريح عن وجودها ، فالروح ذاتها هي الكمال المطلق ، والكمال الخالد الذي لا يعرف التلاشي والفناء ؛ لذلك نراه يسخر من أولئك الذين يعتقدون : أن الروح مرحلية زمنية في علاقتها الحميمة بالجسم ، وان الروح سرعان ما تموت إذا انتهى أمد الجسد ، وتلاشت صورته من الوجود البشري .

الهوامش :

(١) لم يكن لفظ (تصوف) يُطلق حتى خمسين عاماً مضت في النصوص العربية ، إلا على التصوف المعروف كأحد العلوم الدينية . ولكن غزو الكتب الأجنبية ، واحتلالها مساحة من مكتباتنا وعقولنا أسهم في ظهور كلمة (تصوف) بالمفهوم الغربي للفظ المرادف لكل ما هو (غيب وسر) ، فكلمة (lamystiqe) الفرنسية مثلا تتضمن معنى (الأسرار) (lesmysterest) ، وفي المقابل نرى :أن المستشرق الغربي انكليزياً كان أم فرنسياً ادرك خصوصية معنى لفظ (تصوف) في التدين الشرقي ، ولم يستطع ابتكار ما يرادفه في لغته فنقله بأحرف لاتينية ، فنرى (هنري كوربان) الفرنسي يترجمها: (lesoufisme) ، وكذلك يترجمها (آربري) بالانكليزية : (sufistm) . ينظر :

1.L,hommede Lumiere dausle soufis me par henry corbin .
2.Soufisme A.J.Arleauyed.harpar torch books, newyork,1970.

٢–للشاعر ابن الحاج المالكي في التصوف .ينظر ذلك في :نظرات في التصوف الإسلامي ،د. بدر عبد الحميد هميسة ،على الموقع :hamesabadr@yahoo.com

٣-جبران خليل جبران ، عبقري من لبنان ، فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٩ ، ص١٣ .

٤-جبران : سيرته ، أدبه ، فلسفته ، ورسمه ، دار الريحاني ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص٢١ .

٥-النزعة الإنسانية عند جبران ، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ . ص٧٨ .

(*) رسام أمريكي شهير كان بحاجة إلى موديلات شرقية لصورهِ ، وقد رأى داي في جبران ضالته وقدرته على ذلك ، فاستوعبه وأطلعه على الميثولوجيا اليونانية والفنون المعاصرة ،فضلاً على التصوير الفوتوغرافي . ينظر :.ويكيبيديا على الموقع الالكتروني : https://ar.wikipedia.org/wiki

(**) يقوم ذلك الكتاب على القصص الخيالية – الرمزية طريقاً للتعبير عن مبدأ (التناسخ) ، فيحدث القارئ على النفس المكتسبة ، وعرض لما استوحاه من نظرية التذكر والحب الطبيعي الذي يربط أبدية حاضر الإنسان بماضيه ، بل هو يلمع إلى السُكر الروحي والحقائق المحيرة ، ويشيع من ذلك كله لون رومنطيقي ليس لنا عهد به في النثر العربي .ينظر : جبران في ضوء مؤلفاته العربية/ دراسة تحليلية ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، العدد (١٦) ، ٢٠٠٩ ،ص١٧٥.

٦-محاضرات في جبران خليل جبران ،سيرته وتكوينه الثقافي ،مؤلفاته العربية ، معهد الدراسات العالية ، ١٩٦٤ ، ص٣٤ ؛ وكذلك ينظر : ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران ، مؤسسة نوفل ، مكتبة بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٤، ص ١٢٨ .

٧-جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية ، نذير العظمة ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ص١٠٤ .

٨- هكذا تكلم جبران ، د .نزار بريك هنيدي ، دراسة في الأدب الجبراني ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سوريا – دمشق ،٢٠٠٤ ، ص١١١ .

(*) إذ وضح الشيخ الرئيس فيها أبعد ما يراود الإنسان ، وأعمق ما يلازم خياله من الأماني التي تولدها المعرفة ، والسؤالات التي يثمرها الرجاء ، والنظريات التي لا تصدر إلا عن التفكير المستمر والتأملات الطويلة .وقد جاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على ان العلم هو : حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات العملية إلى النظريات العقلية إلى الشعور الروحي إلى الله ، والتي مطلعها :

هبطت إليك من المحلِ الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنـــــــع
محجوبة عن كلِ مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي إصيبعة، تحقيق:نزار رضا ،مكتبة الحياة،بيروت،ص.٤٤٦

٩-هكذا تكلم جبران ، مصدر سبق ذكره ، ص١١١ .

١٠-جبران خليل جبران مختارات ودراسات ، سهيل بشروئي ، دار المشرق ، بيروت ،١٩٧٠ .

١١- المصدر نفسه .

١٢- ماذا بين جبران وماري هاسكل ،رسائل وذكريات ،موسوعة جبران ، دار نوبليس ، بيروت ، ١٩٩٧ ، المجلد الثالث والعشرون ، ص٤٦ .

١٣-الثابت والمتحول ، ادونيس ، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب ، دار الساقي للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠١٢ ، ص٣٢ .

١٤-جبران : سيرته ، أدبه ، فلسفته ... ، مصدر سبق ذكره ص٢٢ ؛ وكذلك ينظر : جبران خليل جبران مختارات ودراسات ، سهيل بشروئي ، دار المشرق ، بيروت ،١٩٧٠ .

(*) لم يكن تأثير نيتشه في جبران عارضاً ، حتى انّه نفسه كان يحس بوجودهِ في شخصهِ أكثر فأكثر منذ العام (١٩١١) . وقد يكون تلبس به سيّال الفيلسوف الألماني بعد وفاته في العام (١٩٠٠). وقد بلغ ذروة فاعليته فيه خلال المرحلة الثانية (١٩٠٨-١٩١٨).

(**) فوليم بليك يتحد به جبران (شعراً ورسماً ، وأسلوبا وفكراً ، موقفاً ورؤيا)، ولا سيما في المرحلتين : الأولى والثالثة ، حتى يُقتضى السؤال : تُرى ألاّ يجوز أن يكون سيّال (بليك) الفني قد تجسد في جبران منذ ولادته بحيث يصبح جبران هو (بليك) نفسه في بعض طاقاته الروحية ؟. إنّ جبران كان يعتقد ذلك . ولعل أول من فطن للشبه الحميم بين الشاعرين الرسامين كانت (ماري هاسكل) التي لفتت نظر جبران إلى ذلك في أوائل العام (١٩١١).

١٥- جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية ،مصدر سبق ذكره ، ص١٠٤ .

١٦–نظرات شرعية في فكر منحرف ، سلمان بن صالح الخراشي ، روافد للطباعة والنشر ، ج١ ، بيروت ص٢١ و ص٣٢ ؛ وكذلك ينظر : جبران خليل جبران في الميزان ، فيصل الهمذاني ، على الموقع الآتي :http://alhmdni 897 .blogspot.com/2014

١٧–جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية ، نذير العظمة ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ص١٠٤ .

١٨-معجم المصطلحات الفلسفية ، خليل احمد خليل ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص١٥٥ .

١٩-المصدر نفسه ؛ وكذلك ينظر : الدين الجبراني ، باسكال تايت ، على الموقع الآتي :

www.maaber.org/issue-september 08/spohlights 2-htm.

٢٠-الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي ، بوعرفه عبدالقادر ، دار الغرب ، د(ط.س)، ص٨ وص٢٠ ؛ وكذلك ينظر : النزعة الإنسانية عند جبران ، مصدر سبق ذكره.

٢١-المصدر نفسه ،وكذلك ينظر : رواد الأدب المهجري بنزعتهم الروحية ، دار الحياة ، على الموقع الاتي :

www.alwaraq.net/core/news-indetail?=1591.

22-k.markx les manuscrits de 1844-tard.bottigeili-ed.sos.paris.

1969.p;61.

٢٣-تأملات صوفيه في فلسفة كارل يونغ وجبران خليل جبران ، أحلام رحال ،على الموقع

الآتي: https;//ahlam 002.wordprdess.com/categov.

٢٤-هكذا تكلم جبران ، د .نزار بريك هنيدي ، دراسة في الأدب الجبراني ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سوريا – دمشق ،٢٠٠٤ ، ص١١١ .

٢٥-المصدر نفسه ،ص١١٢ .

٢٦-المصدر نفسه .

٢٧-أدب المهجر ، عيسى الناعوري ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ،ص٣٨٠ .

(*) أن الإنسان يتكون من : جسد وسيالات – جمع مفردها سيال ، وهو : وحدة نفسية ذات طاقة حيوية انفعالية ، وإدراك نسبي ، وإدارة محركة نزعيه نوعية ، وخصائص وظيفية . ينظر : كتابات جبران العربية ، ص٥١٧-وروح . وقد ألمعت إلى أن الجسد تتكون عناصره من : السيالات الشكلية العامة التي في الطبيعة ، أما السيالات الروحية ، فهي التي تكون ذاتية الإنسان البشرية . واما الروح ، فهي الذات الإلهية النقية المتخطية النواميس الطبيعة والكائنة في ملأ الأرواح . وقد خلقتها القوة المبدعة – أي الله – قبل أن يكون هنالك زمان ومكان ، والأرواح هي : مصدر التكوين كله ، وأمهات الكائنات جميعها ، ومنها تنبثق السيالات فتشكل موجودات متباينة الدرجات تبعاً لحكمة إلهية ونواميس كونية ، واليها تعود السيالات بعد أن تبلغ ذروة ارتقائها بتصفيتها من كل كثافة مادية ، وكل روح أم حقيقية لمجموعة من الكائنات تتصل بها بواسطة إشعاعات خفية ، فتسمو بسموها وتحط بانحطاطها . لكن غبطتها معنوية ، وكذلك الآمها وغايتها : العودة إلى القوة الإلهية المبدعة للاندماج بها . وكل إنسان تتكون سيالاته من ثلاث فئات : روحية ومادية وسفلية ، والإتزان النسبي لا يتم فيه ألاّ عندما يحصل بين سيالاته تراتب تهيمن فيه الفئة الروحية على الفئتين الآخريين، والسيالات الروحية وحدها يتاح لها مغادرة الأرض إلى عوالم أسمى ، في حين أن السيالات المادية تبقى ضمن جاذبية الأرض . أما السيالات السفلية ، فإنها تصنع نفسها بشرها وفسادها في جاذبية العوالم السفلى من المدركات . أن نفس كل إنسان تتكون من مجموع سيالات روحية ؛ لان الإنسان محدود بشبكة من الحواس ذات حدود عليا ، وحدود .دنيا لا يسعه تجاوزها .

(**) أن الجسم الإنساني قميص للروح التي هي : النفس المتحدة بالعقل ، ولما كان الجسم عرضاً قابلاً للاستحالة والفناء ، فان جوهر الحياة يبقى متمثلاً بالنفس المتنقلة من القميص الذي يدهمه الموت الى قميص اخر هو : جسم المولود في لحظة ولادته ،

وهكذا تتقمص الأنفس : إناثاً إناثا ، وذكوراً ذكوراً ، وتبقى هي لا تنقص ولا تزيد ولا تستبدل ، وانما الذي يتبدل جيلاً بعد جيل هو : صورة الأقمصة التي هي الأجساد . ينظر : يوسف سليم الدبيسي أهل التوحيد ،دمشق الجزء الثاني ، ١٩٩٢،ص١٦٦.

وهو – أي التقمص – يرادف (الحلول) الذي يقصد به : قيام موجود بموجود أخر على سبيل التبعية بشرط امتناع قيامه لذاته ، وتلك الفكرة امتداد لفكرة (الفناء) الصوفية بجواز حلول الله تعالى في قلوب العارفين . ينظر : خلاصة الكلام ، للفضلي ،ص٣٢٠.

(***) احد أهم المفاهيم في الفلسفة النيتشويه ، وهو يتدرج ضمن الإلهام الصوفي او الوحي الديني اكثر من اندراجه ضمن الحدس الفلسفي / المفهومي ، والاعتقاد فيه ، والعمل بمقتضياته وتعاليمه تطلب من مناجاته – حسب رأي نيتشه – الكثير من الجرأة والتهور؛ لذلك استعمله (نيتشه) : كمعيار للتميز بين الانموذج الإرتكارسي والانموذج الفاعل او بين الضعيف والقوي ، فالقوي هو : من يستطيع توكيد الطابع التراجيدي للوجود بدون ضغينة وبدون اوهام . وحسب رأي (كلوسوفسكي) ، فان (العود الأبدي) يعمل على تفكيك الهويات الثابتة ، ويجعل من المستحيل قيام الذات بالمعنى التقليدي الميتافيزيقي للفظ . وحسب رأي (دولوز) افول المتعالي ، وإرادة القوة ، والعود الأبدي غير افول المتعالي ، وتفكيك الهوية الذاتية أو القومية ، وأنّها لا تعني : غير العودة المتكررة للأشياء ذاتها في اختلافها إلى الابد ، وذلك ما يجعل مفهوم (العود الابدي) النيتشوي يتعارض جذرياً مع التصور الغربي اليهودي المسيحي للتاريخ ؛ لان الأبدية التي يلتزمها العود تقتضي تفكيك بنية الزمن بما هو خط متدرج في تصاعده ، وخلخلة التفاضل القائم بين اناته الثلاث ،حيث يصبح الماضي والحاضر والمستقبل – على حد تعبير فاتمو – مجرد كيفيات مختلفة لإدراك التاريخ والأبدية .
ينظر:اسس الفكر المعاصر ، ص١٤٠.

٢٨– هكذا تكلم جبران ، د .نزار بريك هنيدي ،مصدر سبق ذكره ، ص١٢٨ .

٢٩–ينظر:المجموعة العربية لجبران ، قصيدة (يا نفس لولا مطمعي) ، ص ٩٧ .

٣٠–المصدر نفسه ، ص٩٨ .

٣١–العلوم الذوقية عند الصوفية ، جبران ، المجموعة العربية ، ص ٤٤٦–٤٤٧ .

٣٢–معجم المصطلحات الفلسفية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥ .

٣٣–مصدر نفسه ، ص١٥٦ .

٣٤–الإنسان والفلسفة ، عباس فيصل ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د.ط) ،١٩٩٦ ، ص٢٥ ؛ وكذلك ينظر : الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣ .

٣٥– الإنسان الكامل في الإسلام ، بدوي عبد الرحمن ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٢، ١٩٧٢ ،ص١٣٣ .

٣٦–تأملات صوفية في فلسفة كارل يونغ وجبران ، مصدر سبق ذكره .

(*)المجنون : هو (المختلف)؛ لأنه يُخالف الناس فيما دأبوا عليه من عادات ، ورضخوا له من تقاليد وشرائع ؛ ولأنه يدعو إلى الجديد المختلف الذي لم يألفوه ، وبذلك المعنى كانت الأمم تعدّ الأنبياء والرسل (مجانين) ، وهو ما يقوله النيسابوري في كتابه (عقلاء المجانين) . و(المجنون) عند الناس هو : من يسمع ويسب ويخرق الثوب ،أو هو من يخالفهم في عاداتهم ، فيجئ بما ينكرون ، ولذلك دعت الأمم الرسل مجانين ؛ لأنّهم شقوا عصاهم ، فنابذوهم ، وأتوا بخلاف ما هم فيه . لقد أولى جبران أهمية لشخصية بطله (المجنون) عن طريق ما كان يقوله عنه في رسالته إلى (ماري هاسكل) ، فهو يقول لها في رسالة كتبها في العام ١٩١٢ : (إن المجنون ليس مجنوناً. ولكنه بعيد ومختلف) ، ويكتب لها في رسالة إخرى في العام ١٩١٣ : (إني أغمض عيني وأفكر ، أفكر، أُفكر بمجنوني الذي أحبه واحترمه . انه عزاء ما ، وملجأ على الرغم من ابتساماته الواسعة . أني أفيء إليه كلما

كنت مريضاً أو متعباً . انه سلاحي الوحيد في هذا العالم المسلح تسليحاً غريباً) . وفي رسالة ثالثة لـ(ماري هاسكل) في العام ١٩١٤ يقول فيها :(أن المجنون مثل هاملت ، فالحياة أبداً تقولب ذاتها ، وتتخذ شكلاً في عقله ، في حين ان الحياة فوضى في حلها ، في حال معظم العقول الاخرى ، ولا تتخذ شكلاً الا في أجزاء صغيرة فيها هنا وهناك).

كما يقول لماري فيما بعد :(في مجنوني شيء غريب . أن الإنسان بشكل من الأشكال أكثر بكثير من نتاجه ، والمجنون هو : اقل مني . لكنه في بعض الأحيان أعظم مني . انه ينتشلني ، وأود أن ارتفع بحياتي إلى مستواه . انه يجعلني أفضل ؛ لأنه أفضل مني ، وهو كائن حي ، واني اكتشفه الآن أكثر فأكثر) .

أن الجنون عند جبران يرتبط بالاختلاف عما هو سائد ، وبعدم قبول الواقع ، وما يفرضه من ابتعاد عن المواصفات التي تليق بحياة الإنسان بِعدّه ممثلاً للإلوهية على الأرض ، ومن ثم بالرغبة في التمرد على ذلك الواقع ، ورفض الشرائع والتقاليد الظالمة التي يفرضها ، وبالطموح إلى بناء عالم آخر أكثر إنسانية وجمالاً وعدالة ولو بالوهم وحده . فقد كتب جبران يقول : أن المجنون هو من يجرأ على قول الحقيقة ؛ وهو ذلك الذي يتخلى عن التقاليد البالية ، وهو من وجهة نظر جبران : الخطوة الأولى نحو انعدام الأنانية ، إذ أن هدف الحياة هو : تقريبنا من أسرارها ، والجنون هو : الوسيلة الوحيدة لذلك ، فالجنون عند جبران قوة ، لأنه يلغي جميع مصادر التي تحد من حرية البشر ، وهو كذلك : فهم لأسرار الوجود والكون ؛ لأنه يمنح المجنون القدرة على تجاوز الواقع إلى ما ورائه ، فضلاً على القدرة على رؤية المخفي والمحجوب . يُنظر في ذلك :

-رسائل جبران ، صفحات مطوية من أدب جبران الخالد ، جمعها وقدم لها : جميل جبر ، دار بيروت ، ١٩٥١ .

- أضواء جديدة على جبران ، توفيق صايغ ، دار رياض ،ط٢، ١٩٩٠.

-المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية ،ط١ ،عرائس المروج ،دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥.

-هكذا تكلم جبران ،د.نزار بريك هنيدي ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ، سورية – دمشق ،ط١، ٢٠٠٤.

٣٧- تأملات صوفية في فلسفة كارل يونغ وجبران ، مصدر سبق ذكره .

٣٨-المصدر نفسه .

(*)أنها دعوة من جبران في نصه لكي يذكرنا بـ(الارهاق الوجداني) نفسه الذي استجار منه الحلاج بقوله :

اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي
أنا عندي محو ذاتي من أجل المكرمات
وبقائي في صفائي من قبيح السيئات
سئمت روحي وحياتي في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني بعظامي الفانيات

. يُنظر : ديوان الحلاج ، مصطفى كامل الشيبي ،ص٢٤.

مشاعر على الرغم من ما فيها من مأساوية ، الا انها تزخر بالطمأنينة ، وهو ما يدفع جبران لكي يقول :" أنّما الإنسان كائن منتصب بين اللانهاية في باطنه واللانهاية في محيطه ". ينظر : المجموعة العربية ، البدائع ،ص٥٥٨.

إنها (أنا) الإنسان التي كانت في ذات الحلاج ، وهو يستجير بالإله ، إذ يقول :

بيني وبينك إنّي ينازعني فارفع بفضلك إنّي من البين

في تسويغ هذا البيت اليتيم يقول (مصطفى كامل الشبيبي) : ذلك البيت انموذج من الشطح الصوفي ، وهو لغة الحركة ، والحلاج في ذلك البيت – ايضاً– يقدم لنا براعته في ابتداعه للمصطلحات والمفردات ، مثل مصطلح (إنّي) الذي كرر في البيت أعلاه . فقد صاغ من (أن) واسمها الضمير ، اصطلاحاً تدل على الماهية أو الوجود . وقد أراد أن يقول "مخاطباً الخالق" : إن وجودي يمنعني من الفناء فيك فأزل هويتي كما أتشخص بهويتك . ولكنه اختصر كل ذلك بمصطلح (الانّية) الذي روضه موقف في ذلك ، فأصبح جزءً من السياق العام ،إذ يقول الجرجاني في تعريفاته : " الانّية ": هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ، فيما يرى (جميل صليبا) : إن معناها قريب من معنى الهوية ؛ لأنّ (الهوية) هي : التشخص او الوجود الخارجي أو الماهية مع التشخص ، وهي : الحقيقة الجزئية ، والفرق بين الأنية والماهية : إنّ الاولى / تتضمن معنى (الوجود) ، والاخرى / لا تتضمنه ، وفي كليات (أبي البقاء): إنّها مشتقة من (أن) التي تُفيد في العربية : التأكيد والقوة في الوجود . ينظر : المعجم الفلسفي ، ج١ ، ص١٧١.

(**) هذا المصطلح أطلقه جبران على رائعة من روائعه ، هي رائعة (النبي) ، اذ يقول : "كرست جل وقتي لذلك العمل الذي أعدّه حياتي و"ولادتي الثانية" ، وهو كتاب يقدم لنا فيه جبران : رسالة روحية يدعونا عن طريقها الى تفتح الذات ، والى ظمأ اعمق للحياة ، فضلاً على ما تقدم فـ(الولادة الثانية) هي : ولادة روحية ، وكل (ولادة روحية) هي : في نظرنا ولادة من عذراء ! او هي ولادة العهد الجديد الذي يطلق على مصطلح (اليقظة الاخيرة) . ينظر:شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) ، وكذلك .

the forerunner, p64 ، فضلاً على ما تقدم ، نقول : ان ذلك المصطلح – الولادة الثانية– اقتباسه جبران من الشاعر والرسام البريطاني (وليم بليك) (١٧٥٧–١٨٢٨)، والذي تأثر به جبران ، والذي – وليم بليك– كان يؤمن بالكشف والولادة الثانية . ينظر : جبران في ضوء المؤثرات الاجنبية ، نذير العظمة ، ندار طلاس ، دمشق، ١٩٨٧،ص١٠٤.

٣٩–يراجع بخصوص ذلك الموضوع عند جبران :

–جبران في حياته العاصفة ، جميل جبران ،ص٢٤٠.

–جبران النابغة اللبناني ، انطوان خويري ،ص٨٨.

٤٠–هكذا تكلم جبران ، مصدر سبق ذكره ؛ وكذلك ينظر :المجنون ، ص ٣٧ .

(*) يتكلم جبران عن الوحدة ، فيقول على لسان احد تلامذته في (حديقة النبي) : انا وحيد يا معلم ، وحوافز الزمن تمر على صدري ثقيلة الوطء بطيئة الخطى . وقف المصطفى ، وانتصب في وسطهم ، إذ يمكن ان نستشف إنّ الملامح نفسها تقريباً نلحظها في جملة الحسن البصري : "ابن ادم . انك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك" . ينظر : تاريخ التصوف، عبد الرحمن بدوي ، ص١٦٨.

٤١– هكذا تكلم جبران ، مصدر سبق ذكره ؛ وكذلك ينظر :المجنون ، ص ٣٧ .

٤٢––القرآن الكريم ، سورة الأنعام ،الآية (٩٤).

(*) هو بطل اغترابي سلبي يعتزل الناس تعالياً في العاصفة للتأمل ومعرفة الأسرار ، والدنو من عرش الله ، فيهرب معتصماً في كوخ،مختاراً الوحدة بين الجبال ، وعندما يبوح بسر اعتصامه ، يقول :(هجرت الناس ؛ لان أخلاقي لا تنطبق على أخلاقهم) . لكنه لم يطلب الوحدة للصلاة والتنسك ؛ لان الصلاة ، وهي أغنية القلب تبلغ آذان الله ، ولان الله بنى الأجسام هياكل للأرواح ، وعلينا تقع مسئولية الحفاظ على تلك الهياكل لتبقى قوته نظيفة لائقة بالإلوهية التي تحل فيها ، بل طلبها ليتمكن في صمتها من بلوغ اليقظة المعنوية والروحية ، وليعرف بحسه الباطني ما لم يدركه ولن يدركه عن طريق العقل . ينظر : شبكة المعلومات العالمية(الانترنت) مقال بعنوان (الدين الجبراني) لباسكال تايت ،(الانترنت).

(**) لقد فهم جبران (العاصفة) على الأساس الآتي :

١-إنّ (العاصفة) لا تأكل اللحوم الحامضية ، فلِمَ تخاف وتهرب منها ؟

٢-لو مضغتك (العاصفة) كلقمه تحصلت على شرفٍ لا تستحقه كما في قولهِ : "حبذا لو كسرت العواصف أجنحة البشر، وهشمت رءوسهم . ولكن الإنسان مطبوع على الخوفِ والجبانةِ ، فهو لا يرى العاصفة مستيقظة حتى يختبئ في شقوقِ الأرض ومغادروها" . وكذلك قولهِ : " أنا ذاهب للتجول في العاصفة ، وهي عادة أتمتع بها في الخريف والشتاء ، وأرجو أن تعلم نفسك حُب العواصف لا الخوف منها "، إذ يعرب جبران عن حبه العظيم للعواصف ، وارتياحه الشديد لها ، فيقول : "أي شيء في العاصفة يُحركني هكذا ، لم أكن تفضل وأقوى جداً ؟ لم أكن أكثر توقاً بالحياة حينما تمر العاصفة ؟ لست ادري مع إني أُحب العواصف أكثر حباً من أي شيء في الطبيعة ". ولعلنا عن طريق ما تقدم نستنتج : تأثر جبران الواضح بنيتشة ، وهو في ارتقائهِ الجبل واعتزله في كهفهِ أعواماً – حسب مؤلف: (هكذا تكلم زرادشت) – أشبه بالصوفي السائح في الصحراء ، الذي اعتزل الناس ، وتحمل المشاق ترويضاً للنفس ، وشحذا للرياضة الروحية ، وإيقاظاً لإرادته الإنسانية.

٤٣-العلوم الذوقية عند الصوفية ، المجموعة العربية ،مصدر سبق ذكره .

٤٤-المصدر نفسه ؛ وينظر كذلك : حديقة النبي ،ص٤٤ .

٤٥-خصائص التجربة الصوفية في الإسلام : دراسة ونقد ، تأليف :د.نظله احمد نائل الجبوري ، بيت الحكمة ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٧ .

٤٦-جبران المجموعة العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٤ .

(*) إذ يمكن عُدّ مؤلفه (الموسيقى) بمثابة البيان او (الماتيفستو) لمذهبة في الفن والفكرة والحياة ، فضلاً على تلمس ملامح اقواله الصوفية ؛ وذلك يتجسد في قوله :" ترى الكون حلما ، والجسد سحبا ضيقا " ، وكذلك تلميحه إلى التناقل والتناسخ ، واكتناف الكل في صدى القبلة الأولى التي وضعها آدم على شفتي حواء .

٤٧-جبران في ضوء مؤلفاته العربية ، د. محمد نجم الحق الندوي ، مجلد القسم العربي ، جامعة بنجاب –لاهور ، باكستان ، العدد السادس عشر ، ٢٠٠٩ .

٤٨- في آثار جبران خليل جبران ، صفا اسماعيلي ، نيسان ٢٠١٢ ، على الموقع الاتي :
everything Christian.in /htm/

(*) مدينه إسطورية ميثولوجية ، وما فيها من المقاصد . ويقال : يأتي ذكر (ارم) في القرآن الكريم سورة الفجر / الآيه (٧) "ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ . ارم ذات العماد .التي لم يخلق مثلها في البلد " – وهي دلالة واضحة على تأثر جبران بالقرآن – ، فضلاً على أنّها مدينة ذهبية يروي : أنها كانت في مكان محجوب في جزيرة العرب لم يستطع الإنسان أن ينظر إليها ؛ بسبب ضبائها . ولقد دمرها الله ، وان هدف الوصول إلى (ارم) عند جبران يرمز إلى : بلوغ المثالية في القيم العليا للتوسع في ذلك الرمز الصوفي . أما ارم ذات العماد الجبرانية ، فهي : مسرحية شخوصها : زين العابدين النهاوندي(المعروف بالصوفي الدرويش عجمي في الاربعين) ، ونجيب رحمة (أديب لبناني في الثالثة والثلاثين) ، ودانية العلوية او (جنية الوادي) التي لا يعرف احد عمرها) .

-المكان : (غابه بين منبع العاصي وقرية الهرمل) .

-الزمان : العام (١٨٨٣) .

-وقد نشرها جبران في كتابه (البدائع والطرائف الصادر في العام ١٩٢٣) ، وصدرها بآيات من القرآن الكريم ، سورة الفجر ، الآيات (٦-٨) ، والحديث النبوي الشريف : " يدخلها بعض امتي " دلالة اخرى على تأثره بالحديث النبوي الشريف – وكانت تلك (القصة / المسرحية) غنية بالحكم الموحية ، مثل :" إنما الإيمان بالشيء المعرفة بالشيء "، و" كلنا غريب في كل مكان " ، والقصة حقل نوراني بمفرداتها : (أنوار ، أثير ، نهار ،المشعل ....، وغيرها). عن النهار ، الحجة ١٧ ايلول ٢٠٠٤ ، دار الشروق .

٤٩-فلسفة جبران في ارم ذات العماد . جعدان جعدان ، الاثنين ٢٠١٢، على الموقع :

الاتي : E.maill:jamahir@thawra.cow

٥٠-جبران ، المجموعة العربية ، ص٤٤٨.

٥١-فلسفة جبران في ارم ذات العماد ، مصدر سبق ذكره .ص٤١.

٥٢-المصدر نفسه ؛ وكذلك ينظر :جبران خليل جبران ،في دراسة تحليلية- تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، غازي فؤاد براكس ، دار النشر المحلق للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٧٣.

٥٣-نفسه .

٥٤-نفسه؛ وكذلك ينظر : ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران حياته موته أدبة ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت، ١٩٦٠.

٥٥-أدب المهجر ، عيسى الناعوري ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١٠.

٥٦-المواكب ، جبران خليل جبران ، ص١٧٤ .

57-G.Bachel ard.l Eau et les Reves,p;158.

58-The prophet,p;91.

59-Jesus the son of man,p;62.

60-The Wanderer,p;88-89.

61-The Letters of K.Gibran and M.Haskell,p:647.

٦٢-مما تبوح بـ (عواصف البحر) أيضا للشاطئ : "عند الفجر أنا وشراع الغرام على مسامع حبيبي ، فيضمني إلى صدره ، وفي المساء أترنم لصلاة الشوق فيقبلني ... يأتي المد فأعانق حبيبي ، ويعقبه الجزر فأترامى على أقدامه ".ينظر : دمعة وابتسامة ، ج٢، ص٢٢٠.

٦٣-جبران ، الأجنحة المتكسرة ، ج٢، ص٤٩.

(*) لقد جعل جبران (الغاب) رمزاً لملكوت الروحانية أو الاتزان النفسي ؛وذلك مرده إلى عدة أسباب هي :

١.لأنّها جزء بكر من الطبيعة لم تفسده يد الإنسان ، وللطبيعة البكر وجهان :

- وجه الأمومة : (فهي من نماذجها البدائية الرئيسة) ،

- ووجه الروحانية : فهي أم روحانية ، وبهاتين الصفتين تشبع واقع جبران النفسي وحاجاته .

٢. لان الغاب فرضت معناها على جبران ؛ بكونها رمزاً نفسياً غنياً للعقل الباطن ، حيث تمحي مبادئ الاجتماع البشري ومقاييسه وقيمه . لكن اللاشعور المعني هنا ليس ذاك المعتم السفلي ، حيث الصراع قائم بين الذات والرغبات ، بل هو الروحي العلوي الذي هو مفتاح بابه الفن ، مُمثلاً بالناي والغناء ، ولذلك فالخلود من صفاته ، ذلك بان (الناي) يمثل (الروح) ، وأنينه يمثل لغتها ولغة الأرواح باقية بقاء أرواح .

٣.لأن رمز (الغاب) عززته مدلولات أخرى ، منها :

– أنها كانت مسرح أحلام جبران الطفولية البريئة ، وملاذ وحدته ، ومنطلق تأملاته ونشاطه الفني ،

وانه عرف فيها حبه الأول مع (حلا الضاهر) ، متساوى في الغاب : السيد والمسود والغني والفقير ، ورفعت الحواجز ، وازيلت النقائض ليتحد –قلبان ونفسان – الكيان بالإنسان . يُنظر : جبران خليل جبران ، دراسة تحليلية – تركيبة لأدبه ورسمه وشخصيته ، غازي فؤاد براكس ، دار النشر المحلق للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٧٣، ص٣٢٨.

٦٤–جبران ، المجموعة الكاملة ، المقدمة ، ص٣١.

٦٥–أدب المهجر ، مصدر سبق ذكره ، ص.٤١١

٦٦–المواكب ،جبران خليل جبران ، ص١٧١.

٦٧–المصدر نفسه .

٦٨–نفسه .

٦٩–نفسه .

٧٠– نفسه .

٧١–ديوانه ، ص٤٤–٤٥.

(*) إنّ الصوفية اعتمدوا النثر وسيلة فنية في التعبير عن مواجيدهم ، غير أن الشعر اقدر على التعبير عن حياتهم الروحية لما يتسم به ذلك الجنس الأدبي من بنية فنية متميزة قادرة على التأثير في المتلقي/ اولاً ، ولأن إقترانه بالإنشاد والغناء / ثانياً . يؤسس قاعدة العبور الى التواجد فالسكر فالغناء ، وهو غاية ما يتمناه الصوفية ؛ ولان معاناة التجربة الشعرية تماثل معاناة التجربة الصوفية من كل وجه / ثالثاً .

٧٢– ديوانه ، ص٦٣.

(*) ويعني : اعطاء المسموعات الوانا ،وجعل المشمومات أنغاماً ، وكون المرئيات عاطرة لتوليد احساسات تتغنى بها اللغة الشعرية . ينظر :المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د.شكري محمد عياد ،ص٩٨.

٧٣– المواكب ،جبران خليل جبران ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٥.

٧٤–المصدر نفسه .

٧٥–نفسه .

المصادر والمراجع :

–القرآن الكريم .

-المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية ، قدم لها : ميخائيل نعيمه ، بيروت، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٤، وقد تضمنت : (رسالة في الموسيقى ، عرائس المروج ، الأرواح المتمردة ، الأجنحة المتكسرة ، دمعة وابتسامة ، المواكب ، العواصف ، البدائع والطرائف).

***الكتب العربية :**

-أدب الهجر ، عيسى الناعوري ، دار المعارف ، ١٩٧٧).

-أضواء جديدة على جبران ، توفيق صايغ ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط٢،

-أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، عبد السلام بنعبد العالي ، المكتبة العربية ، على الموقع الآتي : www.arablib.com.

- الإنسان الكامل في الإسلام ، بدوي عبد الرحمن ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٢، ١٩٧٢.

- الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي ، بوعرفه عبدالقادر ، دار الغرب ، د(ط.س)

- الإنسان والفلسفة ، عباس فيصل ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د.ط) ،١٩٩٦ .

- الثابت والمتحول ، ادونيس ، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب ، دار الساقي للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠١٢ .

-المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د.شكري محمد عياد ،عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٨.

-تاريخ التصوف الإسلامي ، عبد الرحمن بدوي ، الشعاع للنشر والتوزيع ، ط٣، ٢٠٠٨.

- جبران خليل جبران ، عبقري من لبنان ، فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٩.

- جبران خليل جبران مختارات ودراسات ، سهيل بشروئي ، دار المشرق ، بيروت ،١٩٧٠.

- جبران : سيرته ، أدبه ، فلسفته ، ورسمه ، دار الريحاني ، بيروت ، ١٩٥٨.

- جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية ، نذير العظمة ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٧ .

- خصائص التجربة الصوفية في الإسلام : دراسة ونقد ، تأليف :د.نظله احمد نائل الجبوري ، بيت الحكمة ، الطبعة الاولى ، بغداد ، ٢٠٠١.

-خلاصة علم الكلام ، الدكتور عبد الهادي الفضلي ، دار المؤرخ العربي ، مكتبة نرجس ، ط٢، ١٩٩٣.

-شعراء الرابطة القلميه ، نادرة جميل سراج ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت).

- ماذا بين جبران وماري هاسكل ،رسائل وذكريات ،موسوعة جبران ، دار نوبليس ، بيروت، ١٩٩٧.

- محاضرات في جبران خليل جبران ،سيرته وتكوينه الثقافي ،مؤلفاته العربية ، معهد الدراسات العالية ، ١٩٦٤.

-المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتب ، ١٩٩٤.

- معجم المصطلحات الفلسفية ، خليل احمد خليل ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥.
- ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران، مؤسسة نوفل ، مكتبة بيروت ، ط٢٠٠٩،١.
- ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران: حياته موته أدبه ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت،١٩٦٠.
- نظرات شرعية في فكر منحرف ، سلمان بن صالح الخراشي ، روافد للطباعة والنشر ، ج١ ، بيروت،(د.ت) -
هكذا تكلم جبران ، د .نزار بريك هنيدي ، دراسة في الأدب الجبراني ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ، الطبعة الاولى ، سوريا – دمشق ،٢٠٠٤.

***شبكة المعلومات العالمية الانترنت :**

- تأملات صوفيه في فلسفة كارل يونغ وجبران خليل جبران ، أحلام رحال ،على الموقع الآتي: https;//ahlam 002.wordprdess.com/categov.

-جبران خليل جبران في الميزان ، فيصل الهمذاني ، على الموقع الآتي :
http://alhmdni 897 .blogspot.com/2014

-الدين الجبراني ، باسكال تايت ، على الموقع الآتي :
08/spohlights 2-htm www.maaber.org/issue-september

- رواد الأدب المهجري بنزعتهم الروحية ، دار الحياة ، على الموقع الآتي :
www.alwaraq.net/core/news-indetail?=1591.

-فلسفة جبران في ارم ذات العماد . جعدان جعدان ، الاثنين ٢٠١٢، على الموقع الآتي : E.maill:jamahir@thawra.cow

-في اثار جبران خليل جبران ، صفا اسماعيلي ، نيسان ٢٠١٢ ، على الموقع الاتي :
everything Christian.in /htm/

***الدوريات :**

المجلات :

-جبران في ضوء مؤلفاته العربية دراسة تحليلية ،د.محمد نجم الحق الندوي ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب – لاهور ، العدد(١٦)، باكستان، ٢٠٠٩.

***الكتب الاجنبية :**

-G.Bachel ard.l Eau et les Reves,p;158.

-Jesus the son of man,p;62.

-k.markx les manuscrits de 1844-tard.bottigeili-ed.sos.paris.

1969.p;61.

-The Letters of K.Gibran and M.Haskell,p;647.

-The prophet,p;91.

-The Wanderer,p;88-89.